حول الثقافة والتعليم

بقلم

نجيب محفوظ

أعده للنشر

فتحى العشرى

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

نجيب محفوظ



حول الثقافة والتعليم

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ ـــ ١٩٩٠م



الدار المصرية اللبنانية
طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبد الخالق ثروت ـ تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣ برقيا دار شادو ـ ص ب ٢٠٢٢ ـ القاهرة
AL DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING PUBLISHING-DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT st p.o. Box 2022 CAIRO EGYPT PHONE 3936743 3923525 CABLE DARSHADO

الإخراج الفنى
الفنان محمد قطب

الغلاف
للفنان سيد عبد الفتاح

الحمد لله لولا الأستاذ
الزميل فتحي العشري لما
جمعت وجهات النظر هذه
في كتاب، فبفضله
فصلها واستخرج نوعياتها
ونجح في إقناعي بالموافقة على
نشرها
إني أشكره وأرجو
أن يشاركني القارئ في شكره

نجيب محفوظ
٧/٧/١٩٨٩

نجيب محفوظ
بعد جائزة نوبل

فتحى العشرى

نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل، هو نفسه نجيب محفوظ قبل جائزة نوبل.. الشخصية، الحياة اليومية، المسكن والملبس، المأكولات والمشروبات، نوع السجائر، النظارات والسماعات، الأوراق والأقلام، الأطباء والأدوية، الزملاء والأصدقاء، المقاهى والكازينوهات، السير فى الصباح والمساء، القاهرة والإسكندرية..

صحيح أن أشياء اختفت أو تراجعت، وأشياء أخرى ظهرت أو أضيفت فى حياة نجيب محفوظ.. ولكن هل هى طارئة أو عابرة نتيجة لجائزة نوبل؟ وإلى متى؟.

لقد اختفت أو كادت عادة القراءة اليومية فيما عدا الصحف والمجلات، كما اختفت أو كادت عادة الكتابة اليومية فيما عدا «وجهة نظر» الأسبوعية التى تنشر صباح كل خميس بجريدة الأهرام..

وظهرت بكثافة أضواء وكاميرات السينما والتليفزيون، ومسجلات الإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء، كما زادت اللقاءات والمقابلات والأحاديث والتصريحات، وأضيفت مسئولية الرد على الرسائل والبرقيات والتلكسات، سواء كانت تهانى أو عقودًا أو دعوات، وكذلك التوقيع على صورته الفوتوغرافية أو صور الراغبين الشخصية أو البطاقات المرسلة.

وكثيراً ما حدث ويحدث وضع عملة ورقية من فئة الدولار أو الإسترلينى فى المظروفات مصحوبة بطلب التوقيع كمصروفات بريد فيوقع عليها نجيب محفوظ ويعيدها إلى طالب التوقيع.

ولهذا يقول نجيب محفوظ: «لقد أصبحت موظفاً عند نوبل» أو جائزة نوبل أو مؤسسة نوبل.

ولم تكن كل التوقعات تنتظر كل هذا الكم الهائل من الاهتمام العالمى على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة، منذ إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٨..

إن ماحدث قد فاق كل التوقعات التى لم تعد تقدر على تحديد وقت انتهاء أو انخفاض هذه الموجة الجارفة من الاهتمام، هل هو قبل أو مع إعلان اسم الفائز الجديد؟!.. أم ترى يستمر هذا الاهتمام حتى بعد إعلان اسم الفائز الجديد؟! وبالتالى هل تختفى العادات الطارئة تماماً أو نوعاً؟! أم أنها أصبحت جزءاً لايتجزأ من عادات نجيب

محفوظ الأصيلة ؟! وهل يعود نجيب محفوظ إلى القراءة والكتابة بالقدر نفسه كما كان ذلك قبل حصوله على جائزة نوبل ؟!

أسئلة لا يمكن الإجابة عنها..

أما أسرة نجيب محفوظ الصغيرة، زوجته وابنتاه، فيمكن التأكيد على أنها «أسرة ضد الأضواء» وعلى أن واحدة منهن لم تتغير شخصيتها وعاداتها، برغم تدفق الموجات الرسمية والإعلامية الأولى على البيت الصغير المطل على النيل، ربما بفضل مبادرة «الأهرام» بنقل مركز الثقل إلى «قاعة توفيق الحكيم» التى تحمل رقم ٦٠٦ ببرج الأهرام الدور السادس، والتى لم تفتح بعد رحيل الحكيم إلا لنجيب محفوظ الذى أصر منذ اللحظة الأولى على الجلوس على الكنبة الطويلة فى مواجهة مكتب الحكيم..

أما الاهتمام الذى فاق كل التوقعات فيرجع إلى أن نجيب محفوظ هو أول أديب يكتب باللغة العربية ويفوز بجائزة نوبل العالمية بعد ٨٨ عاماً من بداية منح الجائزة سنوياً. فقد بدأت عام ١٩٠١ فيما عدا السنوات التى لم تمنح فيها الجائزة نتيجة لاندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية، وبعد ٨٤ أديباً فازوا بها كاملة أو مناصفة.. هذا فضلاً عن أنه أول أديب عربى يفوز بهذه الجائزة بعد فوز الإفريقى سونيكا، فقد حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل المختلفة.

كذلك فإن عربياً واحداً لم يفز قبل نجيب محفوظ بأى من جوائز نوبل العالمية الأدبية والعلمية فيما عدا نصف جائزة السلام التى فاز بها الرئيس أنور السادات..

وأخيراً فإن نجيب محفوظ قد فاز وحده بجائزة ١٩٨٨ برغم الأسماء اللامعة التى كانت مرشحة معه، والمنافسة التى اشتدت فى التصفية النهائية..

ولابد من ذكر سبب جوهرى يتمثل فى أن نجيب محفوظ لا يختلف حوله اثنان فى الداخل والخارج من ناحية، وأنه الأجدر من ناحية أخرى، خاصة فى عدم وجود العقاد وطه حسين من ناحية، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى، وإلا أصبح الوضع غاية فى الحرج لمؤسسة نوبل ولنجيب محفوظ نفسه وللجميع أيضاً..

ولابد من ذكر سبب آخر هو الذى شجع على هذا الاهتمام الشديد، ويتمثل فى شخصية نجيب محفوظ ذاتها، فمنذ إعلان نبأ الفوز وهو يرحب بكل أجهزة الإعلام، فلم يختف عن الأنظار ولم يردّ أحداً، ولم يملّ الأحاديث، بل استجاب لتنظيم العملية الإعلامية، وحرص على الالتزام بهذا التنظيم وتقديره، فيما عدا الذهاب بنفسه إلى ستوكهولم لتسلم الجائزة، وتلبية الدعوات خارج مصر..

نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل كان يحظى على مستوى الوطن العربى بالتقدير الذى يستحقه، وكانت أعماله تنشر خارج مصر فى

أكثر من بلد عربي ، بينما على مستوى العالم لم يكن اسم نجيب محفوظ معروفاً إلا في الأوساط الثقافية ، نتيجة لترجمة بعض أعماله إلى عدد من اللغات ، وأهمها الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والإسبانية ، والألمانية ، والروسة ، والصينية ، والسويدية .

وبعد فوزه بجائزة نوبل أصبح نجيب محفوظ يحظى على مستوى العالم بمزيد من التقدير، ارتفعت نسبة توزيع كتبه وكمية المطبوع منها ، سواء باللغة العربية أو بمعظم لغات العالم ، ولم تعد تطبع وتنشر في مصر وحدها ، بل في لبنان ، والعراق ، وسوريا والأردن ، والجزائر وتونس ، والمغرب ، وفي مناطق كثيرة من العالم مضافة إلى الدول التي ذكرناها من قبل ..

وكما عرفت أعمال نجيب محفوظ طريقها إلى المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون في الوطن العربي قبل فوزه بجائزة نوبل ، بدأت تزحف بعد فوزه بجائزة نوبل إلى إذاعات وتليفزيونات العالم ، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعض أعماله في السينما العالمية ، وتقديم بعضها على مسارح العواصم الهامة ..

وبعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، بدأت دور النشر العربية في تقديم بعض أعماله بشكل مبسط مزود بالصور والرسومات للشباب والأطفال ..

ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن دور النشر العربية والعالمية قد فكرت في نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة ..

وهذه المجموعة من الكتب هى باكورة منشورات الدار المصرية اللبنانية الخاصة بإنتاج نجيب محفوظ من المقالات، بعد أن اقتنع صاحب الدار الأستاذ محمد رشاد بالفكرة، وأقبل على تنفيذ المشروع بترحيب من نجيب محفوظ.. وهى مقالات كتبها نجيب محفوظ فى السنوات العشر الأخيرة، على أمل نشر مقالاته السابقة على تلك الحقبة ومنذ الأربعينيات..

هكذا فكرت ونقبت واخترت وأعددت هذه المقالات فى ثلاثة كتب هى «الدين والديمقراطية» و«الشباب والحرية» و«الثقافة والتعليم» لتكون البداية، بعد أن أضاف نجيب محفوظ إلى كل منها كلمة «حول» تعبيراً عن تواضعه المعهود..

وهكذا تحققت تلك الفكرة وظهرت تلك المقالات إلى النور مرة ثانية وإلى الأبد..

أما مقالات هذا الكتاب «حول الثقافة والتعليم» فقد نشرت جميعاً بجريدة الأهرام فى الفترة من ١٩٧٦/٢/٢ حتى ١٩٨٧/١١/١١.

والثقة كل الثقة، فى أن تحظى الكتب الثلاثة بالتقدير والانتشار اللذين تحظى بهما أعمال نجيب محفوظ الروائية والقصصية والمسرحية.. والثقة كل الثقة، فى أن تترجم هى أيضاً إلى معظم لغات العالم، بل كل لغات العالم.. والله هو الموفق دائماً!

موظف بلا عمـــل

كلام كثير يقال هذه الأيام عما يسمى بالبطالة المقنعة، ويقصد بها الخريجون الذين يلحقون بالحكومة والقطاع العام بأسلوب دورى وآلى، بصرف النظر عن حاجة العمل إليهم. ونتيجة لذلك تكتظ المصالح بالعاملين، ويضاف إليهم آخرون كل عام، مما خلق مشكلة مزمنة، تخل بنظام العمل، وتحمل الدولة أعباء جساماً تبدو بلا نهاية تقفُ عندها. ومن المسلم به أن أى موظف زيادة عن الحاجة بإدارة حكومية يهدد انضباطها، ويهز نظامها، ويعرقل مصالح الجمهور المتصلة بها، كما أن أى موظف زيادة عن الحاجة بوحدة اقتصادية، شركة أو هيئة، يزيف اقتصادياتها، ويعطل قوتها، وينقلب فى النهاية عبئاً على الجمهور المستهلك. ولكن من ناحية أخرى هل نترك أبناءنا للبطالة فى هذا الزمن العسير؟ هل نهدر الصفوة المتعلمة فى هذه الأزمة الطاحنة ؟

ثمة اقتراح لعله يحقق لوحدة العمل نظامها، وفى الوقت نفسه لا يصادر الأرزاق.

فأولاً: يجب أن تتخلص كل مصلحة أو شركة من الزائدين عن حاجة العمل؛ لنضمن للعمل استقامته وانضباطه ونظامه.

ثانياً: أن نبعث المستغنى عنهم لوزارة القوى العاملة، وأن يلحق بهم المستجدون عاماً بعد عام، مع المحافظة على المرتبات والعلاوات وما يتبعها من حقوق. ستصبح وزارة القوى العاملة على هذا الأساس أضخم الوزارات، وربما أكبرها ميزانية، وعند ذاك يواجهنا سؤال هام وهو: ماذا نصنع بهؤلاء الموظفين؟ أو بمعنى أصح: ماذا نفعل بهذه القوة الاحتياطية التى لا يقف نموها عند حد؟.

أتصور أنه يمكن التصرف فيها على الوجه الآتى:

١ـ أن يؤخذ منها ـ وتبعاً لتواريخ التخرج ـ الموظفون الجدد الذين تحتاج إليهم الإدارة حاجة جدية.

٢ـ أن تشغل منهم الأماكن التى تفتقر عادة إلى الموظفين لنفورهم منها بسبب مشقة العمل بها، أو لوجودها فى نواح نائية.

٣ـ أن يؤهل منهم لمهنة التعليم أصحاب الاستعدادات المناسبة، وبذلك نوفر لوزارة التربية الآلاف المؤلفة التى تنقصها من المعلمين، والتى لن تستوفى حاجتها منها إلا بعد أعوام طويلة.

٤ـ أن يختار من بينهم العدد اللازم لمكافحة الأمية، وبذلك يمكن تنفيذ خطة محددة للقضاء على الأمية مع توفير الميزانية التى ترصد لذلك عادة للمكافآت الإضافية.

٥ ــ أن نعد من بينهم الخبرات المطلوبة للبلاد العربية وغيرها .

٦ ــ أن يعتبر الباقون فى حال تفرغ لتحصيل درجات أعلى فى العلم والبحث ، واكتساب خبرات ميدانية جديدة ، فيتحولون من مجرد قوة بشرية احتياطية إلى مجموعة ممتازة من الخبرات العلمية والثقافية ، تنفع للتصدير، كما تنفع فى الترجمة أو التأليف ، أو الخدمة الحضارية العامة .

لعل فى هذه الاقتراح حلاً ولو مؤقتاً لهذه المشكلة المستعصية .

١٩٧٦/٢/٢ .

الأفكار المستوردة

أوشك اصطلاح «الأفكار المستوردة» أن يصبح سبة يوصم بها الفكر من طول ما انتقدت وهوجمت. والمسألة ليست مسألة استيراد أو تصدير، ولكنها قبل كل شيء مسألة ما يحتاج إليه الإنسان لدعم تطوره نحو التقدم، لا فرق فى ذلك بين الأفكار والعقائد من ناحية وبين السلع الاستثمارية والاستهلاكية من ناحية أخرى. استيراد الأفكار من الناحية التاريخية سياسة إنسانية متبعة من قديم، تنفذ بتلقائية عن طريق الأفراد بالتجارة والرحلات، أو بخطة مرسومة يضعها المتنورون من الحكام. بذلك انتقلت الحضارة من الشرق القديم إلى اليونان، ومن اليونان انتقلت إلى الرومان. ولما نشأت الدولة الإسلامية اعتمدت فى إقامة بنيانها ــ بالإضافة إلى قاعدتها الدينية المتفتحة ــ على الاستيراد. ولعل أول استيراد مارسته كان على عهد الرسول، ومثاله البارز تبنيه لفكرة الخندق الفارسية الأصل.

وتعددت وتنوعت أوجه الاستيراد أيام عمر بن الخطاب وهو ينشىء الدواوين وينظم الخراج والجند. وجاءت عصور الاستنارة فترجمت فلسفات وعلوم اليونان والفرس والهند. ووجد القادة تشجيعاً على ذلك فيما ورد فى القرآن الكريم من حث على النظر والتأمل وطلب المعرفة، ومن سخرية بالمتجمدين عند تراث الماضى بلا تعقل، وبالحديث المأثور «اطلبوا العلم ولو فى الصين» وعكف المسلمون وغيرهم على هضم ذلك كله، وأضافوا إليه من ابتكارهم ما أضافوا، حتى استكشفوا أصول المنهج العلمى. واستوردت أوروبا حصيلة ذلك لتجعل منه منطلقاً إلى أعظم الحضارات الإنسانية.

هذه حقائق تاريخية لها قوة الواقع المحسوس. ولو كان الانغلاق هو القاعدة المتبعة لوجب على كل حضارة جديدة أن تبدأ من الصفر وأن تنتهى عند رقم ضئيل، ولجاء القرن العشرون ولما يدخل الإنسان عصر الصناعة الأولى. ولكن الحضارة شجرة نامية، أسهم جميع البشر فى سقى جذورها ورعايتها بالجهد والعرق والدم، ومهما ادعاها قوم فى فترة محددة من الزمن فهى فى الحق ملك الأسرة البشرية جميعاً. ولم تكن مجاملة عندما غرس رواد الفضاء الأمريكيون أعلام الأمم فى تربة القمر لدى هبوطهم عليه أول مرة، ولكنها كانت اعترافاً علمياً لا ريب فيه بالجهد الحضارى البشرى المتراكم وراء رحلتهم. فما من شك فى أن الإنسان الذى أستأنس الحيوان المتوحش لاستخدامه كوسيلة للمواصلات قد حقق الخطوة الأولى فى مسيرة شاقة طويلة توجت أخيراً بغزو الفضاء. وطالما كنا فى مصر من كبار المصدرين

والمستوردين : استوردنا قديماً المسيحية من فلسطين، والإسلام من الجزيرة العربية ، واستوردنا فى العصر الحديث من أوروبا العلم والديموقراطية والاشتراكية ، ودائماً كان يوجد رجعيون جامدون يحذرون من الأفكار المستوردة ويدعون بحرارة إلى إغلاق النوافذ . وهذا لا يعنى أن علينا أن نقدس المستورد ، وأن نفقد المرونة الواجبة فى هضمه وتطويره للمزاوجة بينه وبين واقعنا ، ولا يعنى أيضاً أن نستورد مالا حاجة لنا به ، ولكن ذلك شيء وإغلاق النوافذ شيء آخر تماماً .

وإنه لمن أفدح الخطأ أن نتصور الأصالة باعتبارها الولاء للتراث ، أو التحدى للغريب ، الأصالة لا تنبع بالضرورة والحتمية تراثاً ولا حداثة ولكنها تنبع أساساً من الاستقلال الفكرى الذى يستوى لديه – عند التأمل والاختيار – القديم والحديث ، القومى والأجنبى ، فيستمد من هذا أو ذاك ، ويرفض هذا أو ذاك ، تبعاً لاقتناعه ومن خلال تفكيره وتجريبه فى واقعه الحى . وإنما العبرة بما يحقق لى الخير والتقدم وما يمكننى من معايشة العصر وتلبية مطالبه ، ويهيىء للناس كافة العدالة والحرية والازدهار الحضارى .

● بين الخوف والاقتحام :

وعجيب هذا الخوف من الأفكار المستوردة فى زمن اقتربت فيه الأمم من الوحدة كما لم تقترب من قبل . لقد اكتشف اليوم كل جزء فى الكرة الأرضية ، ووثقت العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين أطرافها ، وصار التنقل بين أدناها وأقصاها أيسر وأسرع من

الانتقال بين بلدين متجاورين فى العالم القديم ، واى حركة تند فى مكان يتردد صداها فى بقية الأمكنة ، واكتشاف معدن فى أرض ،أو انقلاب حكومة فى موقع ، تعقبها هزات تفوق الخيال فى أكبر مراكز الحضارة قوة وحساسية ، فنحن نقترب بخطوات حاسمة من الوحدة العالمية ، ولابد لكى نؤدى دورنا فى هذه السيمفونية بالبراعة المنشودة من أن نتلقن سلمها الموسيقى حتى لا تنزلق إلى نشاز أو تنافر.
وستظل الحياة حركة منطلقة مستمرة لا تعرف التوقف أو النكوص مهما تعثرت فى أخطاء أو نكسات أواختنقت بشتى الأزمات . لذلك يبدو التعلق بفردوس مفقود فى غياهب الماضى موقفاً طفوليًا ، يعنى أول ما يعنى الخوف من اليوم والغد ، وعدم الثقة بالنفس ، والهروب من حمل الأمانة والتفكير، ثم إنه لن يجدى بعد ذلك شيئاً. وما دور التراث فى هذا المعترك إلا أنه يعطى مثالاً باهراً للنجاح لا يتكرر أبداً بنصه وفصه، وإنه ذخيرة يتربى الفرد فى أحضانها لينطلق بها ومنها إلى الجديد ، الجديد دائماً وأبداً ، المتناغم مع حركة الحياة فى انطلاقها الأبدى ، والقوى الرجعية تلعب دوراً فى هذا الصراع لا يخلو من عبرة . أجل إنها تقاتل وتجنب الاندفاع خاسرة ، ولكن عنادها يدعو الآخرين إلى معاودة التفكير والتأمل ، وتجنب الاندفاع المتهور، وهكذا تنهزم القوى الرجعية عادة ، وهى تؤدى خدمة لم تستهدفها ، هكذا يسهم فى التقدم من يدفع العجلة إلى الأمام ومن يشدها إلى الخلف .

• الفن المتمرد:

يسوقنا ذلك من جديد إلى موضوع الرقابة والفن. والرقابة ظل ثقيل منذ قديم، فقد قال الشريف الرضى:

أنت النعيم لقلبى والعذاب له
فما أمرك فى قلبى وأحلاكِ
عندى رسائل شوق لست أذكرها
لولا الرقيب لقد بلغتها فاكِ

غير أن الرقابة المستنيرة هى رقابة للفن لا عليه، تنطلق من موقع الحب والتقدير، مستعدة دائماً للتفاهم معه بلا تعسف أو تعنت، وتنبهه بلطف إلى الشطحات غير المقصودة أو الانحرافات التى تغرى بها روح التجارة والنجاح الرخيص، فهى فى جوهرها أقرب إلى النقد، ولا يعطلها من أداء رسالتها إلا أن يوكل بها إلى من هم غير أهل لحمل أمانتها.

ولكن توجد رقابة أخرى، تنشأ عادة من سوء الظن بالفن والفنانين والتقدم، وهى من موقع الحذر والاحتقار والحقد تنطلق، لا هدف لها إلا أن تلزم الفن بطاعة الوالدين، الدولة والمجتمع، وتضفى على الاثنين مضموناً محافظاً، شديد المحافظة، تلوح بالمقص بيد، وبالعصا بيد، بطانتها اللوائح والإدراك الضيق، وكأنما تتشفى بإذلال الروح الإنسانى والكيد له، وتعمل جاهدة لحساب الجمود والموت.

والفن فتى متمرد ، يتحرك على هزات المتناقضات ، وينشط على فحيح السلبيات ، ثم يشمر للنقد والاقتحام ، والتبشير بكل رائع غريب ، ملبياً نداء الحياة فى تيارها المتدفق المبدع المندفع بكل قواه فى الغد والمجهول .

الرقابة تشده إلى (وتد) ما هو راهن وقائم ، وتلفته إلى الماضى ، وهو يتطلع إلى ثورات الغيب ، تدعوه إلى تقديس تقاليد بالية وعادات سقيمة وهو يتحفز لتحطيم الأصنام وإشعال النار فى الخرق المتهرئة ، فلا مناص من الصدام ولا مفر من المستحيل . لذلك لا سلام ولا وفاق بينهما إلا أن يقضى أحدهما على الآخر، فإما رقابة جامدة بلا فن، وإما فن بلا رقابة جامدة . ولقد وليت منصب المدير العام على المصنفات الفنية عام ١٩٥٩ ففهمت عملى على أنه تقديم الولاء للفن من موقع الرقيب ، وكنت أقول لزملائى فى الإدارة : إن الأصل فى النص الفنى هو الإباحة ، وإن أى مساس به علينا أن نعتبره ـ مثل الطلاق ـ أبغض الحلال إلى الله .

• أخلاق المجتمع وأخلاق الشاشة :

ويغرينا ذلك بعقد مقارنة بين ما يجرى فى المجتمع وما يراد بالشاشة [شاشة السينما أو التليفزيون] . معروف أن السينما فى بعض البلاد الغربية تمارس حرية جنسية مذهلة تبلغ ـ فى تقديرنا هنا ـ حد البشاعة والتقزز، ولكن يقابلها حرية مماثلة فى المجتمع لحد الدفاع عن الشذوذ الجنسى وإحاطته بالضمانات القانونية ، أما مجتمعنا نحن فمازال

يقدس الأخلاق التقليدية والقيم الروحية، وبرغم ذلك فنحن نصنع الخمور فى مصانعنا ونعلن عنها داعين الناس إلى شرائها، ونحن نقيم للقمار أوكاراً فى الأماكن السياحية، وتشهد حدائقنا العامة مناظر غير عادية نمر بها متسامحين، أما ما يجرى فى شارع الهرم فحدِّثْ عنه ولا حرج، وتعد مصايفنا معارض للأجساد شبه العارية، ولا نرى فى ذلك من بأس، ولعلنا نعده من معالم الجمال والحضارة. ومن الناس من يعتبر ذلك تهوراً، ومنهم من يعده تطوراً، ولكل فريق فلسفته. وعلى أى حال إذا حكم قوم على ما يجرى بالفساد وعقدوا العزم على تغييره فالمتوقع أن يعلنوا حربهم المقدسة فى المجتمع، فى الحانات وأوكار القمار والمواخير وأشباه المواخير، أما غير المتوقع فأن تعلن الحرب فى السينما والتليفزيون، كأنها هى الأصل والمجتمع هو الصورة، على حين أن المجتمع هو الأصل والشاشة هى الصورة. ومستحيل أن يظهر فساد على الشاشة غير منقول عن أصل فى المجتمع. وهو لا يظهر بهدف الإغراء ولكن الفنان يصوره لأن مجرد إعلان صورته هو كشف عن بشاعته وعن الدور الذى يلعبه فى تدمير الروح الإنسانية. وكأننا لم نكتف بتجاهل ما يقع فى مجتمعنا، ولكننا نأبى إلا أن نشل اليد التى تحارب أعوجاجه بوسائلها الفنية.

وبعد. فما جدوى حصار الفن من أجل إبراز شاشة نظيفة مصطنعة، أليس الأجدر أن نوجه سلاحنا نحو الشر الحقيقى فى المجتمع!!

١٩٧٦/٥/١٠.

أفكار وأشياء

يتعامل الإنسان فى حياته مع أفكار وأشياء يعايشها ، ويتكون بها ، ويسعى فى سبيلها ، وعموماً هى دوافعه إذا حللنا دوافعه ، وأهدافه إذا أحصينا أهدافه . والأفكار تتضمن العقائد والديانات والفلسفة والعلم والفن ، والأشياء تتمثل فى الآلات والسلع وما يجرى مجراها ، والحياة الطبيعية تقتضى التوازن بين الجانبين ، بين الأفكار والأشياء ، أو بين الروح والمادة كما عبر عن ذلك الأقدمون ومن يشاركهم تصورهم من المحدثين . غير أن التوازن لا يتوفر دائماً ، ولعل جانب الأفكار يغلب عند نشوء الحضارة ، ولعل جانب الأشياء يغلب عند اقتراب نهايتها . وكلنا يذكر ولاشك ما سمى فى حينه بثورة الشباب فى الغرب ، وماقيل فى تفسيرها أو فى تفسير بعض جوانبها من أنها ثورة موجهة ضد الاستهلاك ، ضد الأشياء التى استعبدت الإنسان وخنقت روحه ، فأعلن الشباب رفضه لها وهام على وجهه شبه عار كرمز للعودة للفطرة والطبيعة .

وفى عالمنا النامى أو الفقير قامت ثورات أيضاً وانقلابات ، ولكنها كانت موجهة ضد الاستعمار والفقر، وكانت تحلم بعالم الوفرة أو عالم الأشياء أيضاً ! . فالأشياء تحتل قلب العالمين ، تمثل لأولهما كابوساً مخيفاً كما تمثل لثانيهما حلماً عذباً . والدين المسيحى يحتقر الأشياء ، ويحث أتباعه على الروحية الخالصة ، أما الدين الإسلامى فلا يرى بأساً من أن يأخذ الإنسان من الأشياء نصيبه، ولكنه يحثه على أن يجعل لحياته الروحية الكلمة العليا .

وقد فسرت أوربا المسيحية التفسير الذى مكنها من الاستغراق فى الدنيا والأشياء حتى أنجزت أكبر انتصارات مادية عرفها التاريخ ، ولكن ها هو شبابها يدل على أن الاستسلام للأشياء بلا قيد أو شرط ينتقم من صاحبه فى النهاية انتقاماً محزناً وينفره من الحضارة ، حتى جوانبها المضيئة . والإنسان كصانع للأشياء ومستهلك لها رمز للقوة والسيادة والثراء ، وهو كمبدع للفكر مستهلك له رمز للإنسان كإنسان ، وللسمو والخلق .. الفكر وما ينبثق منه من عقيدة وعلم وفن هو مملكة الإنسان الحقيقية التى تحقق له الشرف والسعادة والخلود . وطريق «الأشياء» طريق فى النهاية مسدود ، فمهما تفنن الفرد فى صنع الطعام فقدرته على الالتهام محدودة ، كذلك الشراب ، والنساء ، وقليل من الأثاث يوفر له الراحة والصحة والجمال ، ولا يقتضيه ذلك التكالب الجهنمى على جمع الثروة وما يبذله فى سبيل ذلك من انحرافات أخلاقية واستغلال وحشى للغير وتهرب من الالتزامات الاجتماعية والوطنية . ولعلك أدركت أننى أخاطب بهذه الموعظة القلة

التى تشكل فى هذه الفترة من حياتنا عبئاً ثقيلاً على المجتمع، وخاصة أنها لم تبلغ بعد أن تكون من صانعى الأشياء، ولكنها ما زالت من مستورديها ومستهلكيها فحسب، وهو أدهى وأمر. ونحن فى حاجة إلى كل مليم لنحول به الصحراء إلى أرض خضراء، ونقيم المصانع ومراكز البحوث، وننشر العلم والثقافة والفن، لنستعد لاستقبال الملايين التى ستبلغ السبعين فى نهاية هذا القرن. فالحياة المثلى التى أدعو إليها فى هذا الزمان ـــ وكل زمان ـــ هى الحياة التى يقنع فيها الإنسان بالضرورى من الأشياء، وينغمر بكل قواه فى عوالم الفكر والروح.

١٩٧٦/٧/١٩.

العقيدة والقــدوة

كنت جالساً فى «كافيه لابيه» فى الصباح الباكر، شبه منفرد بالبحر، يهيىء لى الجو كافة أسباب الراحة والصفاء، لولا أن أخبار التحقيقات المختلفة عن التعذيب والفساد المنشورة فى الصحف كانت قد أقامت سدًّا منيعاً بين النفس من ناحية وبين الراحة والصفاء من ناحية أخرى، كنت كذلك عندما جلس أمامى فجأة كهل وقور، وهو يبتسم كالمعتذر، قدم نفسه فإذا به شيخ من شيوخ الطب الباطنى فى الإسكندرية، وإذا به يبتدرنى دون مقدمة:

ــ ماذا ترى ؟.. أيها أهم للطبيب: العلم أم الأخلاق ؟

دهشت من اندفاعه إلى السؤال، وشعرت بأنه كان مشغولاً بموضوعه وقتاً طويلاً، ولعله واصل حواراً مع نفسه حوله بلا انقطاع فطرحه بتلك الصورة وكأنما يستكمل به حديثه الخفى السابق. ولم ينتظر جوابى، لم يعطنى فرصة للتفكير فقال بحزم وإصرار:

ــ الأخلاق هى كل شىء..

فتساءلت بإغراء الجدل.

ــ وما فائدة الأخلاق بغير العلم والمهارة اللازمين؟.

فأجاب بيقين:

الأخلاق توجب على صاحبها تحصيل العلم والاستمرار فى ذلك إلى ختام حياته، فكل صاحب أخلاق هو فى الوقت ذاته صاحب علم، أو يجب أن يكون كذلك.

وأعلنت إعجابى بالفكرة صادقاً، فراح يحكى لى «نوادر» من انحرافات المهنة حتى تمتم آسفاً:

ــ ياله من زمن عجيب!!

فقلت له على سبيل العزاء:

ــ الظاهرة متفشية كالوباء، المهم أن نعالجها..

ــ ذلك حق، علينا أن نبدأ من الأسرة والمدرسة.

ــ وكيف تضمن صلاحية الأسرة والمدرسة؟.. أليست الأسرة والمدرسة وحدتين فى المجتمع الذى نتحدث عنه؟.. المهم أولاً أن نعرف الأسباب.. فتساءل متفكراً:

ــ ما هى الأسباب فى نظرك؟

ــ منها ولا شك الأزمة الاقتصادية، أعنى غول الغلاء، ففى أيام الغلاء يحكم مبدأ الضرورة لا مبدأ المثل الأعلى..

ومنها انحرافات بعض المسئولين، فلا استقامة حقيقية بلا قدوة منهم ولا محاسبة حقيقية بغير استقامتهم.

فقال مقطباً :

ـــ إنك تزيد من الصعوبات ..

ـــ بل يوجد وراء ذلك ما هو أهم وأخطر، فالأخلاق لا تنشأ من فراغ ، وينابيع الأخلاق هى العقائد والمذاهب دينية كانت أم سياسية أم فلسفية ، وقد كان دأب الدولة فيما قبل ثورة التصحيح أن تمحق العقائد والمذاهب ، وأن تطارد العقائديين على اختلاف هوياتهم حتى لم يبق فى الميدان إلا اللامنتمون والانتهازيون ، وهؤلاء أخلاقهم الخاصة تنبع من الأنانية وتستهدف المصلحة ، هكذا امتلأت المعتقلات والسجون بالعقائد ، وغطى سطح المجتمع بالانحراف .

وتبادلنا نظرة حزينة وباسمة ثم استطردت :

ـــ نريد عقيدة .. نريد قدوة ..

فتساءل الأستاذ الوقور:

وكيف نبدأ ؟

فقلت برجاء :

لقد بدأنا بالفعل ، بدأنا منذ أعطينا الصحافة حريتها والقانون سيادته ، والشعب منابره ، وما وراء الليل إلا الفجر..

• الفيلم الناجـح:

يسألنى المهندس على عفت فى رسالة عن الفيلم الناجح ، ما أسباب نجاحه ؟ وما دور النجوم فى ذلك ؟ وما دور الدعاية ؟ وأستطيع أن أسرد أسباباً كثيرة للنجاح ولكن ما من سبب منها يذكر

كعامل من عوامل النجاح إلا وقد تجده فى فيلم سيىء الحظ لا نصيب له من النجاح، لذلك سأتجنب الموضوعية فى هذا المجال وأقول: إن الفيلم الناجح هو الفيلم الذى يستجيب الجمهور إلى موضوعه ككل، بمعنى أنه يحبه؛ لأنه يتناغم مع وجدانه وأفكاره. والجمهور لا يتلقى الموضوع منفصلاً عن بقية العناصر الفيلمية الأخرى. كالإخراج والتمثيل والتصوير والمونتاج والسيناريو والحوار، ولكن تأثره بهذه العناصر لا شعورى إلا القلة النادرة التى تتذوق الفيلم تذوقاً فنياً، أما الأغلبية الساحقة (فتعتبر الموضوع امتداداً لحياتها، تعايشه وتناقشه وكأنه حقيقة لا خيال. وثمة مشكلة وهى كيف يهتدى الجمهور إلى فيلمه الناجح؟ كيف يفرزه من بين عشرات الأفلام المعروضة؟. هنا يجىء دور العوامل المساعدة، وأقول المساعدة وهى فى الوقت ذاته أصلية بمعنى من المعانى، هى مساعدة بالنظر إلى أن النجاح الحقيقى يتقرر فى الموضوع، وهى أصلية لأنه لولاها ما اهتدى الجمهور إلى موضوعه المحبوب المفضل، وأعنى بهذه العوامل النجوم والدعاية ودار العرض والمواسم وغيرها.

ولاشك أن النجوم هى أهم هذه العوامل بلا استثناء، فوجودها فى فيلم ما يشكل قوة جذب لا نظير لها، فيهرع إليها الجمهور مفتوناً بها، راغباً فى مشاهدتها، واثقاً من أنها لن تخيب رجاءه. غير أن النجوم لا تستطيع أن تنجح فيلماً ساقطاً، والدليل على ذلك أننا نصادف النجم فى الفيلم الناجح كما نصادفه فى الفيلم الساقط، ولكن دوره

أساسى فى جذب الجمهور، فإذا كان الموضوع ناجحاً تقرر له النجاح حتى يستوفى حظه منه، وإذا كان فاشلاً لا يغير من قدره، ولكنه يخففه ما أمكن ذلك. إذن فالفيلم الناجح هو الموضوع الناجح، ولكن الموضوع الناجح قد يضيع فى زحمة الأفلام لولا النجم الهادى إليه. وكثيراً ما نسمع كلاماً عن وجوب تحرر الأفلام من سيطرة النجوم، ولكن كيف يهتدى الجمهور الواسع إلى فيلمه وهو لا يكاد يعرف من عناصره إلا نجمة المحبوب؟!. والحق أن عشاق المخرج آحاد، وعشاق المؤلف عشرات أو مئات، أما النجم فهو ــ أَوْهِيَ ــ البطلُ الحقيقى فى السينما، والمسرح.

.١٩٧٦/١٠/٢٢

قضايا هامـة

عرف أن الحكومة ستقدم بيانها التفصيلى إلى مجلس الشعب بعد إجازة عيد الأضحى، وسوف تدرسه اللجان المختصة، ثم يطرح للمناقشة العامة على نواب الأمة. وستكون فرصة للمجلس الجديد ليدرس هموم الوطن وآلامه عن كثب، وأن يقترح لها من الحلول ما يفتح لنا باب التوفيق على المدى القريب والبعيد على السواء، ولما كانت القضايا الملحة كثيرة فإنى أود أن ألفت الأنظار إلى قضايا لا تقل عن تلك خطورة، وربما فاقتها، مع أنها تتراجع عادة أمام معاناة الجماهير والخدمات وغيرها.

■ **منها قضية السد العالى:** وقد قيل فيها كل ما يمكن أن يقال إيجاباً وسلباً، وقد خرجت من متابعة ما قيل ومن الاطلاع على بعض بيانات المجلس القومى للإنتاج، بالاقتناع الكامل بأهمية السد وعظمته، وبأن جميع سلبياته ـ كإيجابياته ـ كانت معروفة من بادىء

الأمر، ولولا عواقب الحروب المتعاقبة لاستكملت مشروعاته فى أوقاتها ولكنَّ عَجْزَنَا عن ذلك يعرض شواطئنا وسدودنا ومياه نيلنا لأضرار بالغة لا يمكن تصور مداها، فما لا يقبل التأجيل أكثر من ذلك أن نحصى السلبيات إحصاء علميًّا دقيقاً، وأن نعرف ما نفذ بالفعل من مشروعات لإصلاحها، ومالم ينفذ بعد، ومتى نبدأ تنفيذه. يجب أن تتضح الصورة بجميع أبعادها وبكل ماينقصها، فإن الإطمئنان على السد ومستقبله هو الاطمئنان على مصر ومستقبلها.

■ **ومنها قضية البحث العلمي في مصر**، ولست فى حاجة إلى القول بأن أى إصلاح أو تقدم لن تتوفر له أسباب الأصالة والصدق والتوفيق مالم يجد سنده الحقيقى فى هذه القاعدة العلمية. لذلك يجب ألا نضن عليه بمال مهما عز المال وتعددت أوجه الإنفاق. وإنى لأعلم بأن أشد الجهود تبذل فى نطاق الإمكانات المتاحة، غير أن الإمكانات المتاحة دون الحد الأدنى بكثير، نحن فى حاجة إلى المراجع والأجهزة، فى حاجة إلى توفير أسباب التشجيع والراحة للباحثين، نحن فى حاجة إلى خلق المناخ المناسب لأساتذة الجامعة وتوفير المستوى اللائق بهم؛ ليتفرغوا لرسالتهم العلمية قبل الإعارات والانتدابات والامتحانات، نحن فى حاجة إلى الإصغاء إلى الأساتذة المخلصين من أمثال الدكتور شكرى إبراهيم سعد أستاذ النبات بكلية العلوم بالإسكندرية الذى أرسل إلى رسالة عن البحث العلمى والتعليم تفيض بالحرارة والصدق، وتعبر أصدق تعبير عن آمال من يرجون

لوطنهم مركزاً رفيعاً فى الإنسانية لايتحقق إلا بالرسوخ فى العلم والإبداع فيه .

■ **ومنها قضية التعليم:** وهى قضية عجيبة ، مامن فرد إلا ويلمس انحرافاتها وأخطاءها ويتندربشذوذها ، ومع ذلك فهى تجرى فى مجراها وتحدث عواقبها عاماً بعد عام ، ونحن نتناقش ونقترح ولانقدم على استئصال الداء من جذوره . أجل أصبح التعليم ميسوراً لأبناء الشعب بفضل الثورة ، وهو أيضاً بالمجان ، ولكننا نعلم أنه ليس بالتعليم ـــ كما ينبغى للتعليم أن يكون ـــ وأنه ليس بالمجان ، إلا للذين يعجزون عن دفع المصروفات الخصوصية ، وغالباً يتوقفون عند مرحلة من مراحل التعليم عجزاً واضطراراً ، ومازالت المرحلة الابتدائية لاتستوعب الجميع ، ومازال كثيرون يتخلفون عن إتمامها ، أما من تتهيأ لهم فرص الاستمرار فهم يعانون من مناهج تعليمية قاصرة عن تدريب التفكير والذكاء والإبداع ، أو تكوين الشخصية الاجتماعية المنشودة ، ثم يشتركون فى السباق الجامعى لتكتظ بهم الكليات وقد تحولت بسبب الكثرة المزعجة إلى مدارس ثانوية عليا ، وهى أبعد ماتكون عن الجامعة روحاً وأهدافاً ، ثم تنقطع بالكثيرين منهم الأسباب بالعلم وما أعدوا له فور تخرجهم والتحاقهم أفواجاً بالحكومة والشركات دون الحاجة إليهم ولاعمل لهم .

هذا هو الواقع ، على حين أن المأمول من التعليم أن يعد للوطن رجاله من عمال النظافة إلى الباحثين العلميين ، وأن يؤهل كل فرد لما يُسِّر له .

■ **ومنها قضية العمالة:** أو الثروة البشرية وهى أعز ما نملك، وهى شديدة الارتباط بقضية التعليم، ولكنها تنفرد بمشكلات خاصة لا تغيب عن أحد أيضاً. ولكى نهتدى إلى حل سليم فيها علينا أن نسلم بمبادىء عامة لا مفر من التسليم بها:

فأولاً: لا يجوز أن يوجد موظف أو عامل زائد عن الحاجة فى مصلحة أو شركة.

ثانياً: لا يجوز أن ينقص موظف أو عامل عن حاجة العمل فى مصلحة أو شركة.

ثالثاً: أن يعد الفائض لسد العجز فى المعلمين لمحو الأمية، أو للتصدير إلى الخارج، أو أن يدربوا للعمل فى الحِرَف التى تشكو النقص على جميع المستويات.

هذه قضايا هامة ومزمنة نرجو ألا يضيع حظها من البحث فى زحمة الأمور الملحة العاجلة.

• الرقابة والتقييم

يسألنى الأخ محمود الدرينى [حقوق الأسكندرية]، عن الرقابة ولماذا لا يكون لها رأى نافذ فى مستوى الفيلم، لماذا يسمح بعرض الأفلام الهابطة، أو غيرها من الآثار الفنية التى نرخص بعرضها.

والرقابة فى الأصل تهتم بقيم محددة أخلاقية ودينية وسياسية، وهى ذوات جوانب موضوعية يسهل ملاحظتها واتخاذ موقف منها، وكثيراً

ما شغل الوزراء المختصون بالقيم الفنية وأرادوا أن يخضعوها أيضاً للرقابة ، وأن يعدلوا لتحقيق هذا الهدف قانون الرقابة القديم ، لكنهم كانوا يلقون عند المناقشة عقبات لا يستهان بها ، منها : أن القيم الفنية مثيرة بطبعها للخلافات الحادة ، حتى ليكاد يستحيل أن يجمع الرأى على تقييم عمل فنى ، ولكن تختلف فى ذلك المذاهب والأذواق ، والأمثلة فى ذلك أكثر من أن تحصى ، حتى على المستوى العالمى ، ولم يعف منها وليم شكسبير نفسه ولا شوقى ، وحتى لو سلمنا بذلك من حيث المبدأ تعترضنا عقبة جديدة خاصة بالحكام المنوط بهم التقييم ، الذين سيصدرون أحكامهم بالقبول أو الرفض على مؤلفى مصر وكتابها .

أجل إن فى الرقابة موظفين مؤهلين وذوى خبرة ، ولكن مواجهة كاتب كبير برفض من يعد من أبنائه يثير من الحساسية والأسى ما لا يخفى على الفَطِن . وتحاشياً لذلك أنشأ بعض الوزراء لجنة عليا للرقابة من أهل الفكر المعروفين ، وهى تعمل بقرار وزارى وفى غير انسجام مع القانون منذ سنوات ، ولا أشك أنها لقيت من الحرج ما عطل الهدف من وجودها ، وآية ذلك أن الأفلام الهابطة لم تختف ، وما زالت تمثل الكثرة بين الأفلام .. بالإضافة إلى ذلك كله فنحن نستقبل عهدا جديداً من الحرية يستحسن معه ألا نزيد من قيود الرقابة ، وأن نترك الحكم للجمهور والنقاد من ناحية ، وأن نشجع الأفلام الجيدة بشتى السبل من ناحية أخرى ، وعلينا بعد ذلك أن نتذكر أن الفن مظهر من مظاهر الحضارة ، وأن مستواه فى النهاية مرتبط بمستواها صعوداً

وهبوطاً ، تقدماً وتأخراً ، وأنه من غير المعقول أن نطالب الفن وحده بمالا نطالب به سائر الأنشطة الحضارية الأخرى ، لا أقول ذلك لأثبط الهمم ولكن كدعوة للاعتدال والإنصاف ، وثمة دعوات أخرى أوجهها إلى النقاد والمسئولين ليجودوا أقصى مالديهم من نقد بناء وتشجيع للنهوض بالفن للمستوى المنشود .

● الأدباء الشبان :

في رسالة الأستاذ أسامة أنور عكاشة تبيان لأزمته الأدبية ، كتبه بعمق وشمول ، فحلل به أزمته الشخصية كما حلل في الوقت نفسه أزمة العشرات ــ أو إنْ شئت المئات ــ من شباب الأدب في مصر ، ولكن تظل حالة منفردة بأركان تزيد من استفحالها وغرابتها ، فقد بدأ رحلته منذ أوائل الستينيات ، وعلى مدار ثلاث سنوات متتالية فاز بست جوائز أدبية ، ونشر قصصاً متفرقة في الصحف حتى صدرت له مجموعة قصصية عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في صيف ١٩٦٧ . وفي ١٩٧٣ حصل على منحة تفرغ كتب خلالها رواية تحتل مكانها الآن بين عشرات القصص القصيرة في أدراج مكتبه ، وظل مجهولاً لا يعرف سبيله إلى النشر المنتظم أو القراء .

هذه موهبة مظلومة ، أثبتت قدرتها ونشاطها ، وبالرغم مما حظيت به من تشجيع المجلس الأعلى ووزارة الثقافة ، عجزت عن الاستمرار والنمو وانتزاع المكانة الثابتة التي تستحقها ، ومثلها أعرف مواهب كثيرة لا تزال حبيسة الادراج ، قلة منها فقط تشق سبيلها في عسر

ومشقة بفضل مجهودات ذاتية تعاونية وبلا جزاء مادى على الإطلاق، أو بفضل تقدير مؤسسة النشر العراقية لها، ونادراً ما تظهر مطبوعاتها فى السوق المصرية.

ولا شك أن جمهور القراء يتحملون جانباً من المسئولية عن ذلك، ولكن فتور القراء والقراءة الأدبية تندرج تحت ظاهرة أشمل هى خمود الحركة الأدبية فى هذه الأعوام الأخيرة، ونحن لا نناقش هذه الظاهرة الآن، كما نعتقد أنها ظاهرة مؤقتة، وأنها فى طريقها إلى الزوال، ولكننا يجب أن نناقش سياسة القطاع العام الثقافى. ومن بادىء الأمر يجب أن نعترف بأن الجوائز الأدبية السنوية ليست بالقليلة، وأنه لا ملاحظة لنا على هذا الجانب، غير أن القطاع العام الثقافى لم يضع حتى اليوم سياسة ثابتة للمواهب الجديدة أو المواهب الشابة، إنه يملك النشر فى المجلة والكتاب والمسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون، وهى وسائل لا يقترب منها الشاب إلا بسعيه واجتهاده والتغلب على حواجز متتابعة لا يتيسر عبورها إلا بالعناء فى أغلب الأحوال، وربما بالاستعانة «بالفَهْلَوة» أو بما هو أسوأ. ولا حل لهذه المشكلة إلا بوضع سياسة ثابتة للكاشف عن المواهب وتقديمها فى مجالها الفنى والإصرار على تقديمها ما دامت تثبت جدارة واستحقاقاً حتى يتهيأ لها الاستقرار المناسب.

١٩٧٦/١٠/٢٢

فلسفة الإذاعة والتليفزيون

كان لسياسة الانفتاح الفكرى أثرها الشامل بين الناس، فما قابلت أحداً إلا حدثنى عن جلسة الأحزاب، أو جلسة الصحافة. لأول مرة يعرض التليفزيون آراء متعارضة فى السياسة، وأفكاراً جريئة، فتدعو السامعين والمشاهدين إلى التفكير والمقارنة والمناقشة والاستمتاع الحقيقى بنعمة الحرية، ولأول مرة يرتفع الاهتمام بمناقشة سياسية إلى مستوى الاهتمام بالقوة السحرية للإذاعة والتليفزيون، وهى قوة لم تغب عن بالى، ولكن ندر أن أجدها حية متجسدة كما وجدتها هذه المرة. الإذاعة [مسموعة ومرئية] أقوى وسائل التعبير، أقوى من الكتاب والصحيفة والسينما، تعمل باستمرار فى البيت والمقهى والنادى، تعمل اليوم بكثرة فى الحقل من خلال «الترانسستر» فهل فكرنا التفكير الشامل لاستثمار تلك القوة لخير الإنسان والمجتمع؟. إنها تبدو لى أحياناً وكأنها «ألف صنف»

المعروف فى السوق التجارية ، فهى تقدم المفيد والممتع ، وأحياناً ماتعتقد أنه مفيد أو ممتع ، معتمدة فى اختيارها على الاجتهاد والذوق ، وما يطلبه المستمعون ، وما يشير به المسئولون ، من غير أن يتبلور فى عملها منهج واضح أو فلسفة محددة ، ولذلك فربما لم تخل من تناقض وتضارب ، من ذلك أن تعرض برنامجاً دينياً سرعان ما يعقبه برنامج راقص خليع ، أو أن تقدم جلسة علمية يتلوها عرض لقارىء كف أو مُنَجِّم .

وطرحت على نفسى هذا السؤال : ألا يمكن أن نكرس مبادىء مختارة أو فلسفة محددة لإذاعتنا ؟ مبادىء تراعى فيما تقدم من ثقافة وتسلية ، من برامج للأطفال ، وبرامج للراشدين والكبار ، ودعنا من السياسة ـــ خارجية وداخلية ـــ فهى لها ملابستها الخاصة ومؤثراتها المحددة ، إنما يهمنى ما يؤثر فى الفرد ، ما يكوِّنه ، ما يعيد صياغته ، فى المجال الذى نتحدث عنه ـــ الإعلام ـــ وبصرف النظر عن مؤثرات أخرى لعلها أبلغ فى التأثير كالاقتصاد والتعليم وغيرهما لعل الصورة المنشودة للفرد هى الصورة التى يتكامل فى بنيانها التراث الحى مع التأهيل الكامل للحياة المعاصرة ، وهو ما يجب أن يمتلىء به وجدان كل مسئول فى جهاز الإعلام ، ما يجب أن يحفظه عن ظهر قلب ، ما يجب أن يؤمن به ويعمل من أجل تحقيقه وتجسيده ، وعليه أن يلتزم به وهو يجد وهو يهزل ، وهو يناقش ويحاور ، وهو يلهو ويمزح ، وهو يروى الحِكَم والأمثال والقصص ، أو وهو يقدم النكات والمُلَح . وليس من العسير أن ننادى بالجمع بين خير ما فى التراث وخير ما فى العصر ،

ولكن المشكلة ستعترضنا عند الاختيار، ماذا نأخذ من التراث وماذا ندع؟ ماذا نتبع من المعاصرة وماذا نتجنب؟ يحتاج الأمر إلى تفكير ومناقشة وتأمل، ولكن توجد مبادىء عامة أرجو ألا تكون موضع خلاف، منها:

١ــ **قيم الدين**: ولا أعنى بالدين هنا الشعائر والفرائض والشريعة فحسب، ولكن أعنى به رسالة إنسانية خالدة، تقدس الفرد والجماعة والشورى والعدالة الاجتماعية، وتدعو إلى الأخوة والحب والسلام، والتسامح بين أبناء آدم على اختلاف دياناتهم وألوانهم وعناصرهم، وتحتقر الإكراه والتعصب والانحراف.

٢ــ **قيم التراث المختارة من نتاج العقل والوجدان** والتى تمتاز بصلاحيتها لكل زمان ومكان، وتستجيب للقيم العصرية وحياتنا الثورية، مع التفتح لكافة التيارات الأجنبية والأفكار المستوردة لمناقشة ما يتناقض مع ثقافتنا والإفادة مما يتوافق معنا.

٣ــ **العلم ودوره فى الحياة** وتربية الفرد على اتخاذ المنهج العلمى وسيلة لمعرفة الوجود والإنسان والمجتمع.

٤ــ **تقديس العمل والعاملين.**

٥ــ **نشر الجمال فى شتى ألوانه وأشكاله ومن شتى مصادره.**

٦ــ **عرض مزايا الحضارة الحديثة ومشكلاتها.**

٧ــ **محاربة الخرافات والعادات الاجتماعية المثبطة للهمم والمغرية بالتوكل.**

٨ـ **الدعوة المستمرة لحقوق الإنسان** في الحرية والكرامة والمساواة والعقيدة والفكر والأمن والسلام.

٩ـ التذكير الدائم بالمبادىء الثلاثة التى التزمت بها حياتنا السياسية وهى الاشتراكية والسلام الاجتماعى والوحدة الوطنية.

ولست أهتم بهذه المبادىء باعتبارها برامج يجب العناية بها، ولكن باعتبارها دستوراً دائماً للعمل، يجب أن يعيش فى قلب كل عامل فى الإعلام، وأن تلاحظ مضامينها فى أى برنامج أو عرض أو مسرحية أو فيلم أو مسابقة ألغاز وفوازير.

هذا ما عنيته بالفلسفة، وقد نختلف حول هذا المبدأ أو ذاك، وقد نقترح إضافة أو حذفاً، ولكن أرجو أن نكون متفقين على أن المصرى المنشود هو إنسان يجمع بين خير ما فى تراثه وخير ما فى الحضارة المعاصرة.

● **حق العروبـــة:**

أطالب العرب بتسديد ديوننا إلى آخر جنيه منها، كما أطالبهم باستثمار بعض أموالهم فى خطة تنميتنا كما يستثمرونها فى أوروبا والولايات المتحدة.

كيف واتتنى الجرأة على الجهر بهذه المطالبة، وبهذا الأسلوب الواضح المباشر؟ إنه أسلوب يُغفر لأصحاب الحقوق لا لطلاب المعونة، فهل نحن أصحاب حقوق؟ وما حقوقنا؟ أو ما هى حقوقنا عند العرب؟

لا أدعى حقوقاً بسبب الحروب التى خضناها من أجل القضية العربية ، فقد خضنا ما خضنا من حروب دفاعاً عن وطن نؤمن بأنه وطننا ، وذوداً عن قضية نعتبرها قضيتنا . ولا أدعيها باسم زيادة أسعار البترول نتيجة لحرب أكتوبر فنحن لم نحارب لنتاجر، ونحن لا ننفس على إخواننا مضاعفة ثرواتهم ونسأل الله لهم منها المزيد بعد المزيد . إنما أدعيها وأطالب بفروضها باسم العروبة والأخوة والتاريخ والحاضر والمستقبل ، وما نرجوه لهذه الأوطان المتناثرة من وحدة مادية تكون منطلقها الفعال إلى الحضارة والعصر.

وما أنكر ما يُقَدَّم من معونات وقروض ، وما أنكر ما يتجه إليه التفكير والتدبير، وما أنكر المبادرات الأخوية التى ساندت وأسعفت فى أحرج المناسبات وأدق الظروف ، كل ذلك معروف مذكور مشكور برغم ذلك أتأمل موقفنا فأجده موقفاً متجهماً كئيباً يدعو للأسى . نحن نعانى ما فى ذلك من شك ، ونتحمل ونتصبر ونتجلد فى سباق الحياة المرير الذى لا يرحم متردداً أو متباطئاً ، ونكابد فترة من أشق ما مر بوطننا فى تاريخه الحافل بالمحن . ونحن شعب متقشف ونسعى إلى المزيد من التقشف لإنقاذ وطننا بأى ثمن وبأية تضحية ، ولا يغرن أحداً منكم فئة قليلة منا تنعم بالثراء الفاحش ، فلعلها أثرت على حسابنا وانتهبت أرزاقنا ، ومثلها طفيليات تتكون فى أيام الحروب والويلات فى كل البلاد ، ولكنها لا تصلح مقياساً لنا ، ولا شاهداً علينا .

بالقياس إلى تلك الظروف أقول : إن كل ما قُدِّمَ من معونة أو

قروض لا يعتبر شيئاً ، وكل ما سيقدم في الحدود التي نسمع عنها لا يعتبر كذلك شيئاً . ومعذرة عن هذا التعبير، ولكنه تعبير صادق ، ويعرب بأمانة عما يجيش به صدري وما تجيش به صدور الملايين ، وما يرضينا إلا الحل الحاسم ، وما هو بالكثير علينا ، ولا هو بالكثير عليكم . ولو كان المطلوب فوق القدرة لعذرنا بغير عتاب ، ولو كان منحه يعطل خطة أو يؤخر نهضة لسكتنا آسفين، ولكن ليس الحال كذلك ، فحق لمثلي أن يتساءل في حيرة وهَمٍّ ثقيلين . ولو كنا نطلب الحل الحاسم من جيران لا تربطنا بهم قومية عريقة وأخوة خالدة لقلت : لعلهم يودون لنا الضعف ودوام الاحتياج إليهم ويخشون قوتنا وتحرر إرادتنا ، ولكن ماذا أقول والجيران هم العرب ، وهم القومية العربية وعنوانها وصفتها الدائمة ؟ وما أطالب به بعضه هبة ، فإن تعذرت فلتكن قرضاً نسدد به قروضنا ثم نسدده عند الميسرة ، وأما الاستثمارات فالوطن العربي أولى بها من أوطان الغرباء ولا أقول الأعداء ، وهي تشير مع خطة التكامل الاقتصادي العربي الذي يعتبر في نظري الأساس المتين لقوة العرب ووحدتهم الحقيقية ونهضتهم المنشودة .

ومرة أخرى أعتذر عن جرأتي ، ولكنني أشعر دواماً بأني فيما أطلب صاحب حق ، ولا حياء في الحق .

٢٠/١٢/١٩٧٦ .

١ ــ العلاقة بين الكتاب العربى والقارىء العربى:

إنها علاقـة مقطوعة، أو تكاد تكون مقطوعة تماماً. عراقيل كثيرة تقف فى سبيل تصدير الكتاب المصرى إلى البلاد العربية وهى معروفة محفوظة، ولم يهتم مسئول اهتماماً حقيقيًّا بإزالتها أو حتى التخفيف منها. أما الكتاب العربى فلم يعرف سبيله إلى السوق المصرية إلا فى القليل النادر، وهكذا أصبح الكاتب العربى غريباً بين أهله، وفى أى عصر؟ فى عصر الفضاء الذى ألغى المسافات وجعل من العالم وطناً كبيراً واحداً! ولم يكن الكاتب العربى كذلك فى عصر النسخ وقبل اختراع المطبعة، أما فى أوائل القرن الحالى فقد حقق العرب لأنفسهم وحدة ثقافية وكان شعراؤهم وكتابهم معروفين لديهم من المحيط إلى الخليج، بالقوة التى يعرفون بها مطربيهم ومطرباتهم أو زعماءهم الوطنيين أنفسهم. اليوم كما قلت فإن الكاتب

العربى ـــ خاصة من غير المصريين ـــ غريب فى وطنه وبين أهله. وتلك حال لا يمكن الاستمرار فى تجاهلها ونحن فى زمن القومية العربية والتطلع إلى الوحدة الاقتصادية والسياسية، ولعل الحل يتيسر إذا تم الأتفاق على إنشاء شركة للتوريع على مستوى العالم العربى تسهم فيها القطاعات العامة والخاصة فى الدول العربية المختلفة.

٢ ـــ حماية حقوق التأليف:

وحقوق التأليف مصونة فى بعض البلاد ـــ ومنها مصر ـــ ولم يلتفت إليها بعد فى بقية البلاد، وحتى فى مصر، فإن القانون لم يُنفَّذ برغم صدوره فى الخمسينيات، وحقوق المؤلفين مهدرة فى السينما والإذاعة والتليفزيون سواء فى مصر أو فى البلاد العربية الأخرى، وفى ذلك من الظلم ما فيه لفئة جديرة بالتشجيع، وحسبها أنها تستنزف حياتها فى تأليف كتب لقوم تصل نسبة الأمية فيهم إلى ٧٠٪ فضلاً عن أن نسبة محدودة من الـ٣٠٪ هى التى تعنى بثقافة الكلمة المكتوبة وتحرص على اقتنائها. ولاشك فى أن صون حقوق المؤلفين هو تشجيع مادى وأدبى لهم يدفعهم إلى مضاعفة الجهد فى التفكير والخلق، وصنع المناخ الثقافى الضرورى لأمة تروم النهوض، أمة اشتهرت فى عصور استنارتها بتشجيع أصحاب العقول والأذواق حتى ضرب بها المثل فى ذلك. ويتبع حماية الحقوق محاربة التزوير ومطاردة المزورين. وتزوير الكتب وباء انتشر فى الأعوام الأخيرة، وهو يكاد يمارس علانية وينزل من الإضرار بالمؤلفين والناشرين مالا يتصوره عقل.

٣ـ رعاية الأجيال الجديدة:

الاهتمام بالجيل الجديد هو اهتمام بالمستقبل وبالجديد وبالتقدم وطموح إلى الأفضل والأجمل، فليس هو مجرد مشاركة وجدانية مع الأبناء أو من هم فى حكمهم. ولابد من وضع نظام عادل نزيه لكشف المواهب وانتخاب الأصلح وتمهيد السبيل أمامه فى المجلة والكتاب والإذاعة والتليفزيون والسينما، وعلينا أن نتذكر دائماً وأبداً أن هذا هو واجبنا، وأنه حقهم وأن الدعوة لذلك هى دعوة لوجه الوطن والثقافة قبل أن تكون لوجه أفراد أو جيل.

٤ـ تيسير الحصول على الكتاب:

ارتفعت أسعار الكتب ارتفاعاً غير معقول ولامقبول، وأصبح من المتعذر على الكثير شراؤها، وخاصة فى مصر. وتحت يدى عشرات من الرسائل يشكو أصحابها عجزهم عن اقتناء الكتب ويعربون بسبب ذلك عن حزن صادق يدل على رغبتهم الحقيقية فى التثقف الجاد وتصورهم عنه. والعناية بأمثال هؤلاء واجبة، خاصة فى عصرنا الذى انصرف فيه كثيرون عن الكتاب اكتفاء بالسينما والإذاعة والتليفزيون. ولا أغالى إذا قلت إنهم خلاصة طلاب الثقافة الحقيقة، فما عسى أن نصنع لهم؟. قد لا يكون ميسوراً فى جميع الأوقات تحمل خسائر مادية لتيسير الكتاب، وفى هذه الأحوال يجب توفيره فى المكتبة العامة والمكاتب الفرعية وقصور الثقافة ومكتبات المدارس، ولا يجوز التهاون فى ذلك أو تأجيله.

٥ ــ جائزة عربية :

أعتقد أنه آن الأوان لإنشاء جائزة محترمة على مستوى البلاد العربية فى العلوم والآداب والفنون، توهب للممتازين من أهل الفكر والفن الذين يؤدون خدمات جليلة لأوطانهم بصفة خاصة، وللإنسانية بصفة عامة عن طريق تخصصاتهم، وياحبذا لو يقام من أجل ذلك مهرجان سنوى فى سوق عكاظ الجديدة. وإلى جانب ماتوفره هذه الجائزة من تشجيع لأهل العلم والفن فإنها توجههم نحو العناية ببيئتهم التى هى فى أمس الحاجة إلى مجهوداتهم وتعفيهم من التطلع نحو تقدير عالم غريب عنهم، مما يغرى بعضهم أحياناً بإيثار التقليد الزائف على حساب أصالتهم الحقيقية.

وأخيراً وليس آخراً كما يقولون، فقد كنت أود أن يشهد مؤتمر عمان وزراء التربية والتعليم أيضاً، باعتبار أن الثقافة إنما تتأصل فى المدارس خلال مراحلها المتتابعة، وأن أثر المدرسة ــ إيجاباً وسلباً ــ لايزول مع الأيام.



• السينما وسوء السمعة :

أريد أن أتحدث حديثاً ذا شجون عن الفيلم المصرى. وأعنى به الفيلم الجاد، والجاد فقط، لا إغفالاً لبقية الأفلام، ولكن لأن الأفلام الهابطة موضوعاً وشكلاً ممهدة الطريق، موفورة الرزق، وقل أن

تلقى فى سبيلها أى نوع من المتاعب. من النادر أن يعنى بها النقد، والأندر أن تواجه معارضة رسمية أو احتجاجاً من ذوى الغيرة على سمعة الوطن. الفيلم الجاد يمثل عادة مغامرة فكرية ومغامرة اقتصادية. وهو يعلم من بادىء الأمر أنه يتحدى قوى لا قبل له ابها، فيتوثب لخوض معركة دفاعية فى الرقابة، وهو يخشى أن تنصرف الأذواق عنه إيثاراً للتسلية والمتعة، فيزود نفسه أحياناً بتوابل جنيسة.

وبالصراحة والصدق لايسعنى الدفاع عن التوابل الجنسية، إنها مسيئة للأخلاق مؤذية للحياء، مزرية بالفن كما ينبغى له أن يكون، بل إنها محقرة الجنس كقوة إنسانية هامة يجب أن تعالج إذا مادعت ضرورة إلى علاجها بالجدية والاحترام، لا بالإثارة الرخيصة الفن الذى يعمد إلى الإثارة فى طلب النجاح فن رخيص. الفن القوى يحقق ذاته بالفكر والأسلوب والبلاغة. ونصيحتى إلى الزملاء من أهل الفن السينمائى أن يترفعوا عن الإغراء صوناً لدورهم كقادة للفكر ودعاة للمثل الأعلى ورواد كاشفين فى طريق الفن والحقيقة. ولا عبرة هنا بما ينتج من أفلام فى بلاد أخرى، فلكل مجتمع مُثُله ورؤاه وأذواقه، وحسبنا أن ندرس جوانبها التكنيكية والفكرية، وأن نفيد منها ما نشاء دون عدوان على أصالتنا الحقيقية. وإنى لأتساءل عن دور الرقابة فى ذلك ومسئوليتها عنه. إنها سلطة قادرة على تطهير الفيلم من أى شائبة، خاصة وهو يعرض عليها خطوة خطوة، يعرض كفكرة، ويعرض كسيناريو، ثم يعرض أخيراً كفيلم. وقد حتم القانون ذلك ليحمى الجمهور من ناحية، وليحمى صاحب الفيلم من

التعرض لخسائر فجائية من ناحية أخرى. والرقابة تشمل جهازها الأصلى، ولجنة عليا من أهل الفكر، ولجنة أخرى من المختصين للتصدير، ويعبر صاحب الفيلم تلك الحواجز فيعرض فيلمه هانىء البال، ولكن ما إن يرتفع صوت بحق أو بغير حق حتى يجد نفسه وماله وفيلمه فى قبضة لجنة جديدة، وأن عليه أن يواجه الامتحان من جديد مع فارق واحد هذه المرة، وهو أنه أنفق بالفعل خمسين أو ستين أو سبعين ألفاً من الجنيهات! فهل يا ترى كانت الرقابة تستدرجه لتخربه؟ وكيف يثق فى هذه الحال بالرقابة أو بوزارة الثقافة التى تتبعها الرقابة؟. وهل يجب أن يذهب إلى هيئة أمم أو مجلس أمن ليطمئن على عمله وماله؟!.

هذه ناحية، أما الناحية الأخرى فهى أن الفيلم الجاد يهتم بنقد المجتمع فيما يهتم به من أهداف اجتماعية وإنسانية. ونحن فى حال من المعاناة الاجتماعية فى أَمَسِّ الحاجة إلى النوع النقدى، بل يوجد من ينادون بالالتزام به كواجب وطنى عاجل. غير أن الفيلم النقدى يصطدم بعقبات لا يستهان بها منها:

١ ــ احتجاج الهيئات والطوائف التى تتعرض للنقد، وقد استطاعت فى الماضى أن تصون ذواتها بالرقابة، فلم يجد الفيلم المصرى من ينقده ويعهد إليه بدور «الشرير» إلا بلطجية الملاهى، واقتصرت الأفلام فترة على صراعات وهمية أو هامشية بين العشاق والبلطجية، غير أن الثورة حطمت ــ فيما حطمت ــ قضبان الرقابة

القديمة ، وأفسحت مجال النقد إفساحاً محموداً ، كان من نتائجه خلق عدد وفير من الأفلام الجادة التى تكشف عن الجانب القبيح من المجتمع بغية التطوير والإصلاح .

٢ــ توهم بعض الناس الطيبين أن فى إظهار العيوب إساءة إلى سمعة المجتمع فى الداخل والخارج ، وأن الأولى بنا إظهار الجميل والصالح كدعاية حسنة لنا ولوطننا . ولو صح هذا المنطق لوجب قياساً عليه أن نلغى المعارضة فى مجلس الشعب ، وهى مصدقة أكثر من أى فيلم ، ولوجب أن نلغى حرية الصحافة ، بل وربما استحسن أن نطالب الشرطة والنيابة بتجاهل المنحرفين لنجتث سوء السمعة من جذورها . والحق أن الفيلم المقتحم الجرىء الناقد يحقق بفنه ومضمونه من حسن السمعة مالا يخطر ببال الكثيرين . فهو آية على الثقة بالنفس والرغبة الحقيقية فى الإصلاح ، وهو آية على أنه مصنوع فى وطن حر يقدس الحرية والكرامة ، أما العيوب التى يعرضها فأى وطن يخلو من العيوب ؟ . وقد شاهدنا الكثير من أفلام الواقعية الجديدة الإيطالية ، ومن الأفلام الأمريكية الحديثة ، رأينا الاتهامات توجه بعنف للحكومات والعلماء والمربين ، بل توجه إلى رجال القضاء والدين ، ولم يطلعنا النقد على عيوب جديدة لم نعهدها فى وطننا وفى جميع الأوطان ، ولكنه قدم لنا أمثلة من الحرية الفكرية والشجاعة الأدبية والسماحة الرسمية يندر أن توجد إلا فى الأمم المتقدمة فعلاً .



وبعد فإن السينما الجادة سلاح وواجب واقتحام. وهى تؤدى واجبها بأفلامها النقدية والوطنية والإنسانية. وأفلامها تضرب فى مجال آخر غير مجال الأفلام السياحية والإعلانية والإعلامية. وأملى أن نكون جديرين بالفن الجاد، وأن نقف من النقد ــ فى أى مجال من مجالاته ــ موقف الأقوياء.

١٩٧٧/١/٣.

الجن .. والعقل

حديث الجن جذب من انتباهنا قدراً لا يستهان به ، حتى كاد يعلو على همومنا المحلية والعالمية . وإنه لفرض محتمل أن يوجد معنا فى هذا الكون كائنات حية ، وربما عاقلة أيضاً لا ندرى عنها شيئاً ، وقد يتاح لها الاتصال بنا أو أن نتصل بها نحن ذات يوم . كذلك توجد وسيلة أخرى للمعرفة إلى جانب العقل هى الحدس ، لعلها سبيلنا إلى الحقائق التى لا تذعن إلى البرهان العقلى . أما العقل فهو خير ما نملك فى التعامل مع الواقع ، واقع الطبيعة والمجتمع ، هو القوة الحقيقية وراء ما أحرز الإنسان من إنجازات فى العلم والحضارة بدءاً من الحياة اليومية حتى غزو الفضاء . وعلينا أن نذكر ذلك جيداً ونحن نعيد النظر فى مناهج التعليم ، ونحن ندير أجهزة الإعلام ، ونحن نتحدث إلى الجموع من فوق أى منبر كان . وعلينا أن نذكر أن حوالى ٧٠٪ من شعبنا من الأميين ، وأنه شعب ذو تراث متغلغل من الخرافات ، وأن

علينا أن نعده للحياة المعاصرة العسيرة ، وأن آفة الخرافة لا تقل خطورة عن آفات الجوع والجهل والمرض . أليس عجيباً أن ينبرى قوم للتحذير من وهم الغزو الثقافى ثم يطلقون على شعبهم غزوة ضارية بالخرافة والسخف ؟! .

١٩٨٠/٥/٤ .

الجامعات .. ومسئولية النقـــد

هل يهتم النقد بالبعض ويهمل البعض الآخر؟

لكى نطرح هذا السؤال عن النقد يجب أن يكون النقد فى حالة نشاط طبيعية ، فالناقد إذا كان منصرفاً عن النقد فمن العبث أن نسأل : لماذا لم يهتم؟ ولماذا يهتم؟

وحتى نحاول رسم جغرافية النقد فسوف نراها على هذا الوجه :

إن حركتنا فى مطلع النهضة تكاد تقتصر على النقد ، كما أن النقد فى أوائل الخمسينيات غلبت عليه الحركة الإيجابية .

فمطلع القرن ، كما يتميز بنشاط ملموس فى أساسه النقدى ، سواء بالاتجاه النقدى إلى التراث أو إلى الأدب المعاصر ، أو إلى الأدب الغربى ، وبفضل هذه الحركة النقدية عرفنا كثيراً من التراث ، وقامت حركات نقدية لأدباء معاصرين منهم : شوقى ، والرافعى ، والعقاد ، وطه حسين ..

ثم غلب على فترة الأربعينيات الإبداع ، فتراجع النقد لدرجة كبيرة ، وأعتقد أن النقد عاد لحركته ثانية بين الخمسينيات والستينيات ، وفى فترة تالية لها حتى نكسة ١٩٦٧ حيث حدث بعد ذلك خمود فى النقد والإبداع معاً .

ثمة ملاحظة لا يمكن إغفالها هنا ، وهى أنه فى السنوات التى يكون فيها النقد نشطاً فإنه لا يهمل أحداً يستحق التنويه ، والدليل أن كميات نقد كبيرة جدًّا وجهت للأعلام فى الشعر كأحمد شوقى ، وفى النثر كالمنفلوطى ، وكذلك العقاد ، والرافعى ، وتوفيق الحكيم ، وبظهورهم كانت ثمة حركة نقدية هامة تبرز فى الفكر العربى .

والحقيقة أننا لا نستطيع الجزم بأن النقد أهمل أحدًا ، وإنما يمكن أن نأخذ عليه مأخذين هامين :

أولاً : البطء فى اكتشافه للمواهب الجديدة .
ثانياً : التركيز حول الشخصيات الرئيسية .

فالنقد لدينا ــ وهذا معروف ــ يهتم بالقمم ، وكأنها هى وحدها التى تستحق جهوده ، وهى التى يتابع بها القارىء الحركة الأدبية وحسب ، ومن ثم تكون النتيجة إهمال المعاصرين ..

ويمكن أن نضيف لذلك أن النقد السياسى الذى عرف فيما بعد جاء ليتفق مع من اتفق معه فى الرأى وجاءت بعد ذلك مراكز قوى أدبية ، فكان اتجاه النقد أشبه بالمذكرات الحكومية بين كاتب ومديره . هذه صورة جغرافية للنقد الأدبى .

أما النقد الحقيقى فيجب أن يهتم أولاً باكتشاف المواهب الجديدة وبنقد الأدباء المعاصرين على اختلاف درجاتهم ومذاهبهم.

والدعوة إلى كتابة تاريخنا الأدبى والفكرى نظريًا قد لا تثمر لكنى أعتقد، وأكاد أجزم، أن المسئول عن هذا هى الجامعة.. إذ يجب أن يكون للجامعة رأى فى توجيه رسائلها «الماجستير والدكتوراه» فهناك الكثيرون يستحقون الدراسة ولكننا أهملناهم.

إن دور الجامعات فى حياتنا الفكرية هو دور قيادى خلاق، تستطيع من خلاله بنظمها العلمية ودراساتها االمعملية أن ترصد الظواهر وتفحص القضايا الأدبية..

١٩٨٠/٧/١٥.

الثورة المنتظرة

باكتشاف العلم الحديث انفتح للإنسان باب للمعرفة لا عهد له به ، ولا سبيل للإحاطة به إلا من خلال التخصصات العديدة المركزة. وبالتقدم التكنولوجى ــ نتيجة لذلك ــ تهيأ للإنسان من أسباب القوة والتسلط مالم يحلم به من قبل. وجاء التوفيق فى المجالين ثمرة للتعاون الفكرى بين الأمم المعاصرة المتقدمة ، بل ثمرة لجهود بشرى اشتركت فيه الإنسانية منذ وجودها الأول وسعيها الخلاق فى سبيل البقاء. لذلك اتسم العلم بطابع عالمى وانعقدت الآمال عليه من منطلق عالميته. غير أنه لأسباب قومية تتعلق بالأمن حيناً ، وبالاقتصاد حيناً آخر ضربت على الكثير من مراكز بحوثه ومعامله أستار من السرية ، حرمته فى أحيان كثيرة من التعاون الفكرى المثمر، والإفادة من إنجازات الآخرين ، كما خصت الجهود المبذولة فى كثير من ميادينه لابتكار الوسائل الجهنمية التى يكفى بعضها للقضاء على الحضارة

وتدمير الوجود البشرى من أساسه . هكذا نشأ تناقض خطير بين نشاط إنسانى عالمى بطبعه، وبين أنانية القوميات ومصالحها ، وهكذا تسلط الساسة الممثلون للمصالح العاجلة على العلماء المرشحين لقيادة البشرية نحو أهداف بعيدة سامية . وكأن العالم اليوم ينتظر ثورة من نوع جديد ، ثورة العلماء على الساسة ، ثورة القيم العلمية على القيم التجارية ، ثورة تهب التحرير والحرية معنى جديداً ، وخلاصاً جديداً .

١٩٨٠/٩/٤ .

سلبيات المجتمع .. والعيب!

تتعرض السينما والتليفزيون لحملات من النقد الصارم عند كشفها عن سلبيات المجتمع مما يعتبره الناقدون بمثابة تشهير بالوطن وأهله يجدر بالرقابة أن تتصدى بالمصادرة. وعلينا أن نفرق بين فن جاد يعالج بجدية، وفى نطاق الالتزام، ظواهر اجتماعية وإنسانية خطيرة مثل الجريمة والجنس، وبين فن تجارى ينقض على هذه الظواهر للإثارة وتفجير الغرائز. والمجتمع المتطلع للأفضل بصدق وعزيمة لا يخاف النقد ولا يدعو للتستر على العيوب، ولكنه يرى فى ملاحقتها بالكشف وإبراز مساوئها وسيلة ناجعة فعالة للإصلاح والتطهير. لذلك يجب تشجيعه واحترامه والدفاع عن حريته. والفن فى النهاية ثقافة وليس دعاية أو سياحة، ولن تضير تعرية السلبيات إلا المنتفعين بها أو الممارسين لها، أما أهل الإصلاح فيضيرهم التستر عليها والهروب من مواجهتها، ولا يكربهم أن يطلع عليهم القريب والبعيد، الصديق والعدو، ثقة منهم فى أنفسهم

ورغبة فى النقاء الحقيقى، وأخيراً لأن هدفهم إيجاد مجتمع نظيف صادق لا فيلم نظيف زائف.

.١٩٨٠/١٠/١٦

الثقافة والإذاعـــة :

كان ومازال للثقافة العامة الجماهيرية حظها الملموس فى الإذاعة بنوعيها المسموعة والمرئية ، وكان للثقافة الرفيعة حظها أيضاً فى نطاق البرنامج الثانى للإذاعة وبعض البرامج التليفزيونية . وقديماً لم نكن نطالب بأكثر من تقوية موجة البرنامج الثانى حتى يسمع فى جميع أنحاء الجمهورية ، بل والبلاد العربية إن أمكن ، ولكنا اليوم نطالب بأكثر من ذلك ، نظراً لما تعرض له النشاط الثقافى والفكرى من ركود قيل الكثير فى إحصاء أسبابه ، ومن أجله أعيد تنظيم الجهاز الثقافى فى الدولة ودعى المثقفون على اختلاف رؤاهم وتياراتهم لحمل أمانة المسئولية لعمل كل ما من شأنه تهيئة المناخ الصالح النقى لازدهار الفكر والإبداع ، لذلك يجب أن تتحمل الإذاعة ــ بنوعيها ــ مزيداً من الأعباء فى هذا المجال ، ويجب أن تتحول إلى قيادة ثقافية بقدر ما هى قيادة إعلامية فى معركة الفكر والوجدان ، وإنى لأعترف ممتناً بما

يبذل الآن من جهد صادق ومثابرة واعية فى خدمة الثقافة ، ولكننى أرجو المزيد من مضاعفة الهمة والوعى ، وسوف يذكر ــ عند انكشاف الغمة ــ الفضل لأهل الفضل .

١٩٨٠/١٠/٣٠.

مبدأ أساسى فى قضية الخريجين :

أخيراً تطرح للبحث والترشيد قضية تعيين الخريجين ، وكان ينبغى أن تطرح لذلك قبل اتخاذ القرار الوطنى العادل بالالتزام بتعيين الخريجين ، وكان ينبغى أن تعتبر جزءاً لا يتجزأ من قضية التعليم وتجديده ، وقضية التنمية بوجه عام . ولست أنوى فى هذه الكلمة أن أخوض فى صميم الموضوع ، وهو ما سبق أن فعلته مراراً وتكراراً منذ بضع سنين ، ولكنى أريد أن أنبه الباحثين إلى مبدأ عام يجب أن يكون الأساس لأى تنظيم بشأن تعيين الخريجين وتوزيعهم . مبدأ يقوم على الوضوح والدقة والعدل والنزاهة ، بحيث يعرف كل خريج مصيره على ضوء تخصصه واجتهاده ، ودونما أى استثناء أو محاباة ، فلا يجوز ترك ثغرة تتسلل منها الواسطة أو الانتهازية ، أو أى امتياز بطبقة أو حزب أو أسرة ، بذلك يتم التفكير على مستوى رفيع من الشعور بالمسئولية وحمل الأمانة العامة ، وبذلك تطمئن النفوس ، وتنشرح صدور

الأجيال الصاعدة، وندفع وحوش الغدر عن حقوق الإنسان، ونصون في الوقت نفسه السلام الاجتماعي والوحدة الوطنية .

١٩٨٠/١٢/٤.

مصيرنا بين القوى العاملة :

في ظروفنا الراهنة ، ظروفنا العسيرة المعقدة ، ونحن نشق في الصخر طريقاً للنمو والنهوض ، في أمسّ الحاجة لقيمة جوهرية ، هي العمل . أملنا في الخلاص معقود بالعمل ، درجة النجاح أو الفشل تتوقف على ما نبذل من طاقة في العمل . (غذاؤنا البدني والعقلي والروحي لن يتوفر إلا بالعمل . لذلك يجب أن نفكر ليل نهار كيف نستحث قوانا الكامنة للانطلاق في العمل وإتقانه والاستمرار فيه باعتباره المطلب الملح الأول ؟ كيف نحمل الناس على الإيمان به ؟ كيف نكافئهم عليه ؟ كيف نحاسب المهمل أو الكسلان أو المنحرف ؟ ولنوجه العناية إلى القوة البشرية فهي أساس العمل وإعدادها يبدأ مع أول المرحلة الابتدائية ، بتزويدها بالتربية الاخلاقية ، وتجهيزها بالتدريب العلمي ، وتوجيهها إلى التخصصات المختلفة تبعاً لاستعداداتها ، وتبعاً لاحتياجات الخطة واحتياجات المنطقة العربية

والإفريقية. كما يجب إعادة النظر فى العاملين لإعادة توزيعهم لصالح العمل. المسألة كما ترى لا تخص الخريجين وحدهم، ولكنها سياستنا مع قوانا البشرية، على ضوء متطلبات الفترة العسيرة، وفى ظل التخطيط العلمى والعدالة القومية الكاملة.

١١/١٢/١٩٨٠.

مسلسل العمالقة

قبل أن نقدم على صنع المسلسلات عن الصفوة من رجالنا ونسائنا العظام علينا أن نحدد الهدف منها . أهو تقديم صورة فنية عنهم ، أم هو عرض شامل لشخوصهم ملتزم بالحقائق التاريخية والنفسية والأخلاقية ؟ أم هو إبراز لدورهم الإيجابى فى حياتنا ؟! . وطبيعى أن كل هدف يتطلب معالجة خاصة به ، فإذا كانت الصورة الفنية هى الهدف فالخيال يجب أن يلعب دوره ، وكذلك مقتضيات الإمتاع والتشويق ولو على حساب الحقيقة المجردة ، وإذا كان العرض الشامل هو الهدف فلا مناص من الكشف عن الحقيقة بجانبيها الإيجابى والسلبى . أما إذا كان الهدف هو إبراز دورهم الإيجابى ، فلعل أصلح وسيلة لذلك هى الفيلم التسجيلى أو التسلسل القائم على التسجيل العلمى التاريخى الذى يتكفل بإظهار كفاحهم وفكرهم والملابسات التاريخية التى عانوها وتعاملوا معها . واعتقادى أن الصورة الفنية قد تضلل الأجيال

التى تتعرف عليهم لأول مرة، وأن العرض الشامل قد يتعارض مع تقاليد مجتمعنا ويبدو وكأنه إساءة مقصودة لهم، فلم يبق إلا إبراز الدور الإيجابى لهم بالتسجيل الأمين، وهو تكريم لهم، وتحية متجددة لأهل الرأى والكفاح، وتربية وطنية للأبناء والأحفاد. أقول ذلك لمناسبة مسلسل العملاق الذى تراوح بين الصواب والخطأ وبين الإحسان والإساءة. وضيع فرصة كان يجب أن تستغل على وجه أفضل.

٢٥/١٢/١٩٨٠.

أعمال ورجال:

فى حياتنا إنجازات جليلة تشهد لمن قام بها بعلو الهمة، وصدق الضمير والإخلاص فى العمل، كما أنها تحقق فى مجالاتها المختلفة فوائد ملموسة، وتمضى بنا خطوات فى طريق النمو والبناء والأمل، منها ما تحقق فى ميزاننا النقدى من وفرة لأول مرة منذ عهد سحيق، فبل ريقنا الجاف من القلق بنقطة من المياه العذبة. ومنها شق قناة سويس جديدة لاستيعاب الناقلات الضخمة، وهو عمل كبير جدير بشعب كبير عرف على مدى التاريخ بالصبر والمثابرة والبناء، وشهادة حية على كفاءة علمية عالية وقدرة إدارية ممتازة. ومنها ما تقرر تطبيقه بدءاً من العام القادم من نظام جديد فى التعليم وأساس جديد يقوم عليه اختيار الطلبة للجامعات، وهو ثورة تصحيح جديدة تتم فى حكمة وهدوء فى مجال التربية يحق لنا أن نؤرخ بها كما تؤرخ الشعوب بأحداثها الهامة المؤثرة فى مصيرها، ثورة تهدف إلى بناء المواطن

المصرى وتزويده بالقيم والعلم لمواجهة الحياة العصرية بكل تعقيداتها.
هذه أمثلة لأعمال ورجال جعلوا من أنفسهم وأعمالهم قدوة حسنة لمن يؤمن بربه ووطنه وأخيه الإنسان.

١٩٨١/١/٨.

فترة انتقال عسيرة

يحدثونك بمرارة عما يعانيه المسرح والفيلم من هبوط فى هذه الأيام ، ويعللون ذلك بنوعية الجماهير الغالبة على السوق نتيجة لما أدركت من وفرة فى الرزق . وكأن المتحدثين يعترضون على هبوط الفن ووفرة الرزق معاً ، وبسخرية لا تخلو من تأفف واحتجاج . أما عن الرزق فلعل حسنة الانفتاح الأولى ـ برغم حاجته الشديدة إلى المراجعة والترشيد ـ هى أنه رفع من مستوى فئات من الشعب لم تمسها الرحمة على مدى تاريخنا الطويل إلا فى ظله ، فئات كان طابعها الدائم الكدح المتواصل والرزق الشحيح ، فيجب أن نسعد لما نالت وأن نسأل لها منه المزيد . وألا نعتبر تأثيرها فى المسرح والسينما شرًّا خالصاً أو داء لا علاج له ، فحسبنا فى هذه الفترة الانتقالية أنها أقبلت على المسرح والسينما لا على غيرهما مما يفتك بالناس فى أوقات فراغهم . وسوف يلحق المستوى الثقافى بالمستوى المادى غداً أو بعد

غد، وسيكون لذلك أثره ولاشك فى الارتفاع بالفنون الجماهيرية، بل إن الفن الجاد ـ الذى يعانى الآن ـ سيكسب منهم أعداداً لا يستهان بها. وإلى هذا كله فهم أبرياء مما لحق بالمسرح الجاد والفيلم المتطور، فمشكلة هذين ترجع فى الغالب إلى ما أصاب روادهما من عنت الأزمة الاقتصادية، وإلى تفضيلهم مجالسة التليفزيون بعيداً عن زحمة الطرق، وتوفيراً للنقود المستغرقة بضرورات الحياة، لعلها فترة انتقال عسيرة ومضطربة سيتلوها توازن قريب بإذن الله.

١٩٨١/٢/١٩.

متى ينتهى محو الأمية ؟

مناقشة هامة دارت منذ أمد قصير عن الأمية ومحوها . وما يبذل فى هذه الناحية الهامة من نواحى حياتنا من جهد وتنظيم وأموال . ومشروع محو الأمية قديم جدًّا . فكرنا فيه وشرعنا فى تنفيذه من عهد ما قبل الثورة ، وحتى اليوم لم نستطع تحقيقه ، بل أقرأ أحياناً أن نسبة الأمية فى زيادة عاماً بعد عام .

وبعد إصلاح التعليم تتضاعف الخسارة التى تحيق بالفرد الأمى ، وتشتد غربته فى مجتمع الغد المأمول . ومع اعترافى بالجهود المبذول فى سبيل محو الأمية فإننى أوقن بأنه لن يحقق أهدافه طالما أن التعليم العام لا يستوعب جميع الأبناء فى الريف والمدن استيعاباً كاملاً لا يسمح بأى استثناء . ولو كنا رسمنا سياسة ثابتة منذ قديم لهذا الاستيعاب لمحقت الأمية بعد جيلين على الأكثر، حتى ولو لم نفكر فى مشروع خاص بمحو أمية الكبار، أما العناية المستمرة بمشروع المحو مع التهاون

فى أحكام استيعاب الأبناء فلن تكون نتيجته ــ برغم الجهد والمال ــ إلا زيادة فى نسبة الأمية. فلنركز قبل كل شىء على زيادة مدارس التعليم العام حتى تتسع لكل ناشىء، بذلك نضمن محو الأمية ونهيىء للمصرى حقًا من أهم حقوقه الإنسانية، وهو حق يفيد منه المجتمع أضعاف ما يفيد منه الفرد.

١٩٨١/٣/١٩.

الجامعة ... والقيادة الفكريـة :

الدراسة الجامعية فى الأصل دراسة تخصصية ، فالجامعة فى هذه الحال تعد الطالب الإعداد الكامل لممارسة فرع معين من فروع المعرفة البشرية ، والمفروض أن الطالب يلتحق بالجامعة بعد دراسة عامة يجب أن يلقى فيها عناية بالتوجيه نحو الثقافة العامة ، بحسن التربية الذوقية وقدرة المدرس ، وعليه هو أن ينميها فى أوقات فراغه ، وخاصة فى العطلة الصيفية .

غير أن هذا لا يمنع من أن يكون للجامعة دور فى الثقافة العامة ، وذلك بالالتحام بالأجهزة الثقافية فى المحافظات ، بإلقاء المحاضرات العامة ، وإعداد المناظرات ، وتهيئة الفرص للطلبة للرحلات والمناقشات واللقاءات بينهم وبين قادة الفكر فى شتى فروع المعرفة .

إن ظاهرة القيادة الفكرية التى كانت تخرج من الجامعة فى الثلاثينيات والأربعينيات ظاهرة تاريخية محسوسة . فمثلاً على سبيل

المثال نشاط طه حسين فى الجامعة كان جزءاً من النشاط يمارسه فى الحياة العامة، وكذلك كان الشيخ مصطفى عبد الرازق، ومنصور فهمى. بل إن هذه الظاهرة تمثلت حتى فى أساتذة العلم الخالص، مثل د. على مشرفة، إذ كانوا يعملون لتربية الجيل الجديد ويحدثون فى الوقت نفسه ثورة عامة فى الحياة الفكرية.

ومع الأسف فقد تقلص هذا الدور فى السنين الأخيرة بدرجة ملحوظة، حتى إنه لم يعد ثمة مفر من الاعتراف بذلك. إن تراجع دور الجامعة، وتباعد الجامعة عن الساحة الفكرية لا يرجع فى نظرى إلى ضمور المواهب بقدر ما يرجع للمناخ العام.

لقد كانت الثلاثينيات من هذا القرن فترة ازدهار وانفتاح على الثقافة العالمية، فشهدت عناية بتعليم اللغات الأجنبية وعدد كبير من المكتبات العامة، بالإضافة إلى رخص سعر الكتب، واهتمام القادة الفكريين المصريين بتقديم الفكر العالمى.

ولا يمكن أن نلقى بالعبء كله على الجامعة، أو نحملها كل المسئولية، فإن مسئولية تخريج قادة للرأى والفكر فى هذا البلد مهمة ورسالة يجب أن تبدأ مع مراحل التعليم الأولية، حتى إذا ما اتجه الطالب أو الأستاذ الجامعى بعد ذلك للتخصص كان لديه حصيلة من المعلومات والرؤية الخاصة به، والتى تمكنه من أن يكون رأياً فى كل ما يحدث من حولنا.

وإننى أعتقد أن هناك براعم شابة ظهرت فى الساحة الفكرية خلال السنوات القليلة نأمل أن نستطيع أن تعود بالجامعة إلى ممارستها العامة ومغامراتها الفكرية كما كانت فى الثلاثينيات .

١٩٨١/٣/١٩.

الجامعة الوطنيــة :

فى يوم ٣٠ مارس ١٩٨١ قرأت لأول مرة عن جامعة جديدة ــ الجامعة الوطنية ــ ينتظر أن تبدأ الدراسة بها مع بداية العام الدراسى القادم ، وقرأت أيضاً أن مواد الدراسة بها تتناسب مع مشروعات التنمية ، كتوفير المعلومات حول استصلاح الأراضى ، واستزراع الأرض ، ومزارع الأسماك ، وتربية الدواجن ، والماشية ، وتصنيع المنتجات الزراعية ، وتصنيع اللحوم ، وفنون الصناعة الحديثة فى الملابس الجاهزة ، وأنها ستكون بمصروفات . وكنت أعتقد أن هذه المواد تدرس بالفعل فى كليات الزراعة وغيرها من المعاهد الفنية . وإذا لم تكن تدرس بها فيمكن أن تضاف إليها بالتدريج وفى نطاق الممكن ، وعند ذاك تتاح دراستها على أوسع نطاق ، وفى محافظات كثيرة . وذلك خير من إنشاء جامعة جديدة تقتصر فائدتها على أبناء مكان واحد ، وهو المكان الذى ستنشأ فيه ، وعلى طائفة من الموطنين

دون الآخرين، وهم القادرون على أداء المصروفات، فالتنمية واجب في جو من التضامن الشعبى، دون أدنى مساس بالمبادىء التى نعتز بها ونقيمها أساساً مكيناً لحياتنا السياسية، كالاشتراكية والسلام الاجتماعى.

.١٩٨١/٤/٤

لغتنا فى الإذاعة

من حين الآخر تثار مشكلة اللغة العربية فى التليفزيون ، كيف تلقى على الناس متعثرة بأخطاء فى النحو والنطق ، وكيف تعمل على نشر الخطأ على أوسع نطاق بقوة التليفزيون وهيمنته على الحواس والأذواق . وقد نوقشت فى تاريخ ماضٍ فى المجلس الأعلى للاتحاد ، وكان مما اقترح لحلها إنشاء دراسة خاصة للمذيعين والمذيعات فى اللغة العربية . وهو حل لم أتحمس له ـ وكنت وقتذاك عضواً فى المجلس ـ لأن نتائجه المرجوة لا تتحقق إلا على مدى طويل ، وقد لا تتحقق أبداً على الوجه المرضى ، خاصة وأن جميع المذيعين والمذيعات لايبدءون من الصفر، ولكنهم يمارسون حياتهم الإعلامية بعد دراسة للغة العربية لا تقل عن اثنتى عشرة سنة . وقد اتفشى اللحن عقب الفتوحات الإسلامية ، وأصاب فيمن أصاب العرب الخلص أنفسهم بعد هجرتهم إلى الأمصار واختلاطهم بأهل البلاد المفتوحة . وإنى أقترح ـ علاجاً

للمشكلة ـــ أن يعين التليفزيون مستشاراً أو أكثر من أهل الخبرة فى اللغة، يتلو المذيع أمامه ماسيذيع على الناس من مواد باللغة الفصحى، فيصحح له مايجب تصحيحه، وبذلك تستقيم اللغة فى أقصر وقت ممكن. هذا وقد دلتنى التجربة على أن التصحيح بهذه الطريقة يرسخ فى النفس بقوة لا تتأتى بالطرق الأخرى المعتمدة على القراءة والحفظ. ولا بأس بعد ذلك من أن يجعل المذيع تحت يده كتاباً من كتب النحو الميسرة يراجعه كلما التبس عليه رأى. والحق أن المسألة بالغة الأهمية، ودور الإذاعة فيها يجب أن يكون بناء، وعنواناً للصدق والإخلاص.

٩/٤/١٩٨١.

السبيل إلى نهضة حقيقيـة

وراء كل نهضة مبدأ عام أو فكرة ما تستقطب العقول والقلوب، وتكتل الناس أو أغلبيتهم حول هدف واحد. فإن لم يتهيأ ذلك تفرقت القلوب نحو الغايات الذاتية، واستفحلت الأنانية واستبدت الأهواء بالأنفس. ولا يعنى ذلك أن يتوقف نشاط الإنسان أو يتلاشى طموحه، ولكنه ينحصر فى إنجازات شخصية ويفتقد الروح الجماعية العامة، فلا يحدث نهضة عامة ذات طابع موحد، ولا يطرح غاية عليا يتجاوز بها الفرد ذاته دون أن يلغيها أو يهضمها حقها المشروع. وقد تختلف الأفكار فى طبائعها ودرجاتها من النبل والإنسانية والأخلاقية، ولكنها ضرورة لا مفر منها لتجميع الناس حول غاية، ودفعهم فى الطريق الشاق الطويل المفضى إلى النهضة، وقد أتى علينا حين من الدهر كانت قضية مصر هى الراية التى تجمعنا، وجاء حين آخر فكانت الديمقراطية هى الهدف، فأى هدف يمكن أن نتكتل حوله

اليوم ؟ أيكون التفوق العصرى لقهر التخلف والإسهام فى الخلق والإبداع العلمى والحضارى ؟ . أيكون السعى إلى تحقيق قومية أشمل تخلق لنا أرضاً أكبر أمناً وثباتاً ؟. ولكن لماذا نلتمس غاية عن طريق الحدس أو التخمين ؟. لَم لا نترك الناس يمارسون حريتهم فى البحث وتحقيق الذات حتى يتخلق المبدأ العام بطريقة طبيعية ، وبانتخاب طبيعى مشروع ، فيهدينا سواء السبيل ، ويهبنا ما تفقده الجماعة من معنى وجودها ودافعها الإنسانى العام نحو النهضة الحقيقية الجديرة بهذا الاسم حقًّا ؟.

.١٩٨١/٤/٢٣

الفن والسياسة والعالميـة :

يسألونك دائماً وأبداً : هل بلغ الفن فى بلادنا درجة تؤهله للعالمية ؟. لِمَ لَمْ يبلغ هذه الدرجة ؟ ومتى وكيف يبلغها ؟. كأننا حللنا جميع مشكلاتنا الثقافية المحلية فلم يبق وجه نقص واحد يستحق التأمل والمناقشة ، ولم يعد لنا مانقلق له أو نفكر فيه إلا العالمية والخلود . وقبل ذلك كان لنا موقف مماثل فى السياسة ، فقذفنا بأنفسنا إلى المسرح العالمى على عهد محمد على ، ونحن أمة لم تكد تستوفى المقومات الأولى الأساسية كى تكون دولة ، مجرد دولة ناشئة . وكانت النتيجة أن صفينا باليسار ما بنيناه باليمين فى سنوات معدودة . وتكررت التجربة فى إبّان ثورة يوليو فتطلعنا إلى زعامة عالمية ونحن مازلنا نتحرى الوسائل إلى محاربة الفقر والجهل والمرض ، وكانت العاقبة الأليمة التى لاتنسى . ترى أنحن مصابون بمرض مصرى خاص اسمه العالمية ؟. لعل موقعنا الفريد بين ثلاث قارات هو ما يدفعنا إلى

هذا التفكير فنأخذه مأخذ الجد قبل أوانه ، ولعله طموح إلى التفوق جدير بالعطف فى ذاته ، ولكن علينا أن نذكر دائماً أن البناء المتين يقوم على أساس سليم ومتين ، وأن كمال الداخل يجب أن يسبق أحلام الخارج ، وأن علينا قبل أن نتمرن لبطولة العالم فى الملاكمة مثلاً أن ننقذ الملايين من البلهارسيا والانكلستوما وديدان المعدة ، وقبل أن نلعب دوراً قيادياً فى العالم أن نمحق الفقر والجهل والاستبداد والفساد ، وقبل أن نرشح لجائزة نوبل أن نمحو الأمية من ٨٠٪ من الشعب فضلاً عن أمية المتعلمين ، وأن نتعلم كيف نقرأ وكيف نرى ، وكيف نسمع . علينا أن نتأهل للحياة الكريمة العادية فى أبسط أشكالها ، حتى يجوز لنا التطلع للبطولات العالمية ، ورحم الله (امرأ عرف قدر نفسه .

٣٠/٤/١٩٨١ .

ضياء باهر فى ليلة مظلمة:

بلغنى أن مسرحية «الأستاذ» للأستاذ سعد الدين وهبة قد حققت نجاحاً جماهيرياً بالإضافة إلى نجاحها الفنى، وبذلك حطمت حاجز الفشل الذى حاصر المسرح الجاد طويلاً، وقد كنا نعلل الفشل بالضائقة المالية التى حلت بجمهور المسرح الجاد، فآثر بسببها قضاء سهراته فى البيوت بجوار التليفزيون، إلى ما أصاب كثرة من الأجيال الحديثة من ضعف التربية الفنية، غير أن نجاح «الأستاذ» يقطع بأنه ما زال بين الجمهور ما يهيىء النجاح لمسرحية ــ وربما أكثر ــ إذا وجد فيها ما يثير اهتمامه ويخاطب عقله ووجدانه. وعليه فيجب أن يقبل النقاد والمفكرون على دراسة هذه المسرحية ليستخرجوا منها أسباب نجاحها، فلعل الركود الذى شكونا منه لا يرجع إلى الأسباب التى تصورناها، أو لا يرجع إليها وحدها، وإنما يرجع أيضاً إلى تغير الذوق والرؤية والحاجة إلى صوت جديد ونغمة جديدة. ونحن فى انتظار أن

يجرب زملاء سعد الدين وهبة ــ الذين شاركوه النجاح قديماً ــ حظوظهم أيضاً ، ومن تلاهم من أجيال شابة ، حتى يسترد المسرح الجاد مكانته وخطورته ويعود التوازن إلى حياتنا المسرحية ما بين مسرح الفن والمسرح الشعبى ، بل لماذا لا يغامر هؤلاء المسرحيون الأفذاذ بالذهاب إلى الجانب الآخر من الشعب ، لا عن طريق الهبوط ، ولكن عن طريق تقديم الفكاهة التى يحبها ، ولو بتطعيمها بجرعات من « الفارس » حتى لا يشقوا عليه ، وقد كان شارل شابلن يفعل ذلك فى روائعه الأخيرة ، وكذلك نجيب الريحانى ، وفى مقابل هذه التنازلات المشروعة سيمدونه بالفكر والرؤية ، ويقومون بعمل جليل فى تطويره والنهوض به ، ويقضون أخيراً على هذه الازدواجية المسرحية الحادة ، أو يقربون بين طرفيها . أليس هذا العمل جديراً بأناس خرجوا من صميم الشعب ووهبوا أنفسهم للشعب ؟! .

١٤/٥/١٩٨١ .

ثالوث العقل والحرية والضمير:

قام النظام فى بلادنا منذ القدم على جهاز قوى للدولة يقود ويحكم ويشرع وينفذ فى كافة أوجه النشاط ، وعلى شعب يستجيب ويطيع ، ثم تستأثر حياته الخاصة بعد ذلك بجل طاقته ، ولم تتبد مساوىء هذا النظام قديماً حينما لم يكن للشعوب دور بارز فى توجيه مصائرها ، ولما جاء عصر الشعوب لم يتخلف الشعب المصرى عن محاولة إثبات ذاته ، فتمرد حيناً ، وثار حينا آخر، ولكنه لم يسلم من الإحباط تلو الإحباط لأسباب شتى ما بين محلية ودولية . حتى ثورة يوليو التى قامت من أجل الشعب كانت من هذه الزاوية وبالا عليه فى فترتها الأولى فضخمت جهاز الدولة لأقصى حد ، وهبطت بإيجابية الشعب لحد الصفر. من أجل ذلك تورات ــ أو كادت ــ من بناء شخصيتنا عناصر هامة مثل العقل والحرية والضمير العام ، وهى عناصر

تقوى مع فعالية الشعب وإيجابيته، وتضعف أو تتلاشى فى حال سلبيته.

العقل يلعب فى حياتنا العامة دوراً باهتاً تافهاً، وكأنما نعيش بعواطفنا وانفعالاتنا. والحرية نضيق بها ونخافها ونحاربها، ولذلك نحذر التجارب والمغامرات، ونسيء الظن بالجديد، ونتحاشى المواقف التى تطالبنا باتخاذ القرار، كأنما ذلك عبء لا شأن لنا به. والضمير العام لم يبق منه الاَّ شعار يتردد فى المناسبات، وقد غرق كل فرد حتى أذنيه فى شئونه الخاصة وهمومه الذاتية، وجرى كل مجرى وراء طموحه الشخصى، أجل، العقل والحرية والضمير العام عناصر مفتقدة فى شخصيتنا، ويحسن أن يفكر فى ذلك طويلاً المعنيون بإعادة بناء الشخصية، ويحسن أيضاً ـ عند وصف العلاج ـ ألا يقتصر على التربية والإعلام والثقافة، فهو ينبع أساساً من نظام الحكم، ومن العلاقة الجدلية بين الدولة والشعب، فلكى يكون ١٥ مايو ثورة حقيقية يجب أن تندفع فى طريقها الثورى بلا تردد وبلا تأخر.

١٩٨١/٥/٢١.

صوت يجب أن يُسمع:

فى المجالس القومية يدرسون ويفكرون ويتصورون للمستقبل صورة متكاملة مؤسسة على الواقع والخبرة والعلم. وهم يدرسون ويفكرون فى جميع المجالات الحيوية: من زراعة، وصناعة، وتعليم، وثقافة، وخدمات، ويصدرون بعد ذلك توصيات ترفع إلى مراكز المسئولية العليا لتتخذ سبلها إلى التنفيذ. ولا يكاد الشعب يعلم من أمرها شيئاً، أو هو يطلع من حين لآخر على بعض آراء موجزة تنشر بدون تعليق أو مناقشة. وثمة سؤال يشغلنى ــ ويشغل كثيرين ــ لماذا لا يعنى المسئولون بطبع تلك البحوث والتوصيات، وتيسير توزيعها على أوسع نطاق بين المثقفين والشباب، والدعوة لمناقشتها فى الصحف وسائر أجهزة الإعلام؟. فهذه البحوث تمثل رحلة جادة بين مشكلات الوطن وحلولها المقترحة. ونشرها فرصة طيبة للتربية الوطنية، واندماج روحى بين الشباب وآمال الغد، ودافع قوى للنقد والمشاركة

الفكرية، يسهم فيه المجتهدون من شتى مواقعهم، ومن جميع الأجيال. بذلك تُحدِثُ حواراً فكريًّا عامًّا يجب أن نحرص عليه كل الحرص، وتكتسب تأييداً شعبيًّا نابعاً من أصحاب المصالح الحقيقيين الذين سيلتقون مع الآمال المرجوة فى غد واحد.

٤/٦/١٩٨١.

كنوز لاينقصها إلا الاكتشاف :

عمل جاد، وثمرة للفكر العلمى، والخبرة الأصيلة، ويتم فى جلال وصمت، ذلك مايقوم به المجمع المصرى للثقافة العلمية، عاماً بعد عام، ومنذ دهر طويل مؤدياً رسالته فى نشر الثقافة العلمية واقتحام مشكلات الواقع. ولولا ثلاثة كتب تفضل بإهدائها الدكتور العالم كامل منصور كمثال لما يصدره المجمع من كتب حاوية بحوثه لما أتيح لى أن أطلع على هذا الجهد الخلاق من البحوث الهامة. وعلى سبيل المثال وفى غاية من الإيجاز. قدم رءوس بعض الموضوعات كمستقبل الزراعة والغذاء فى مصر، التكنولوجيا ذلك الداء والدواء، الرأى الآخر فى قضية تحديد النسل، ثقافة مصر بين الماضى والحاضر، وما أشق الاختيار بين موضوعات كلها خطير وعميق وحى. ولا غرابة أن تناقش هذه الأفكار بين الصفوة، ولكن متابعتها والاهتمام بها وعرض نتائجها يجب أن يحظى بأكبر انتشار بين الناس وبوسائل

تختلف تبعاً لشتى مستويات الشعب. فهذه الكتب وأضرابها مما يصدره المجمع عاماً بعد عام يجب أن تضم إلى المراجع فى لجان مجلس الشعب والشورى، والمجلس القومية، ويجب أن تبسط فى تجمعات الشباب لتهيىء له إدراكاً علميًّا لواقعه، وتحثه على التفكير فيه برؤية جديدة، ويجب أن تخصص لها الصحف صفحات كما تخصص للرياضة والفنون، وأخيراً وليس آخراً فإنى أدعو التليفزيون للتفكير فى عرضها وإجراء حوار مع أصحابها فى برنامج يجمع بين الفائدة والجاذبية، ويحقق للمشاهد تربية ثقافية علمية وطنية وإنسانية معاً.
حقاً إن فى مصر كنوزاً لا ينقصها إلا الاكتشاف.

١٨/٦/١٩٨١.

مصر.. واليابـان:

ثمة حقيقة تدعو للتأمل، وكثيراً ماطرحت كسؤال ملغز بين المفكرين طيلة السنوات الأخيرة، وهى أن مصر بدأت نهضتها الحديثة سابقة اليابان بوقت غير قصير، فكيف بلغت اليابان ما بلغت من درجة حضارية فذة وكيف تأخرنا عنها هذا التأخر الملموس؟ ومن حقنا أن نستبعد أى أسباب عنصرية لتداعى النظرية العنصرية من ناحية، ولما لنا فى إبداع الحضارات من تاريخ لا ينكر من ناحية أخرى. فى اعتقادى أن هذه الحقيقة الأليمة ترجع إلى سببين: أولهما: أن النهضة لم تول القاعدة الشعبية ماتستحقه من رعاية تشمل حقوقها المادية والروحية بحيث تجعل منها قاعدة صلبة ملتزمة متضامنة جديرة دائماً بالصمود والعطاء، والاستجابة المستنيرة لأى نداء قومى أو إنسانى، وليس أدل على ذلك من أن ٨٠٪ منها ما زال حتى اليوم غارقاً فى الأمية. وثانيهما: أن موقعنا الجغرافى بين القارات الثلاث نصبنا هدفاً للقوى الطامحة للسيطرة على العالم.

ومن أجل ذلك كله لم تتقدم نهضتنا دون عثرات متلاحقة، بخلاف اليابان ــ فهكذا أحبطت الدول طموح محمد على، كما أحبطت طموح إسماعيل، كما أحبطت طموح جمال. فما أجدرنا أن نستفيد من دروس الماضى القريب والبعيد، بأن نولى الشعب الرعاية الكاملة، وأن نتجنب الاستفزاز والتحدى لنتمكن من شىء من الانطواء، أو شىء من البيات الشتوى، نلعق فيه جراحنا ونفتح صدورنا للعلم والعمل والثقافة والقيم، مذكرين أنفسنا بأن كل ما خلا الحضارة باطل.

٢٥/٦/١٩٨١.

كيف نحكم على الحضارات المختلفة ونقارن بينها ؟

لعلنا نجد الجواب العلمى على ذلك فى متابعة إنجازاتها الروحية والمادية ، ما استخدم منها فى زمانه ثم اندثر، وما بقى على تقلب الزمان كما كان ، وما انتقل إلى حضارات أخرى فتطور واستمر فى أشكال جديدة . بهذا المنهج تقوم الحضارات من خلال التاريخ فتثير ما تثير من تقدير وإعجاب ونقد . ولعل الجانب المادى يحظى باهتمام خاص ، لا لأنه أجل الثمرات حتماً ، ولكن لشدة تأثيره من ناحية وسرعة الاستجابة إليه من ناحية أخرى ، فضلاً عن قابلية الناس للتعامل معه والانتفاع به . من أجل ذلك لم يبعث نتاج حضارى ما تبعثه الصناعة الحديثة والتكنولوجيا من دهشة وإكبار مقرونين بالإعجاب غير المحدود .

وعندى أنه يوجد وجه آخر للمقاونة بين الحضارات يتمثل فى «الفرد» العادى من المجموعة البشرية المنتمية إليها، فى الإنسان الذى تتجسد فيه حضارة ما بكل محاسنها ومساوئها، وهو فى النهاية أصدق شاهد عليها. إنه شاهد عليها بما يحمل من رؤية عن الكون والحياة والناس، شاهد عليها بما يتمتع به من صحة جسدية وعقلية ونفسية، شاهد عليها بما ينبض به قلبه من سعادة أو تعاسة، وبما يملك من طاقات إبداعية وأخلاقية، وأخيراً وليس آخراً بما لديه من استعداد لحب الآخرين واحترامهم وحسن معاشرتهم، وإن اختلفوا معه فى اللون أو اللسان أو العقيدة أو فيها جميعاً. ولا تعجب من حكمى هذا، فقد وجدت الحضارة من أجل الإنسان، ولم يوجد الإنسان من أجل الحضارة.

١٦/٧/١٩٨١.

العقل الخــلاق

فى الإنسان طاقات كثيرة جديرة بالإكبار والإعجاب، ولكن طاقته الإبداعية تفوق سائر قدراته فى الإثارة والإبهار. إنه كائن خلاق فى مجالات العلم والفن والقيم، وبذلك صنع الحضارة والأمل، برغم أنه يخوض ظلمات من ورائها ظلمات. وهذه الحقيقة لا يجوز أن تغيب لحظة عن المسئولين عن نهضتنا التعليمية الجديدة. إنهم يتحدثون كثيراً عن حسن استثمار القوى العاملة وتوزيعها وتأهيلها حسب خطة التنمية واحتياجات المجتمع والبيئة.

وهذه رؤية حكيمة سديدة موفقة، ولكنها يجب أن تدور حول محور هام هو «العقل» كيف نربيه تربية حرة قوامها الاستقلال والتفكير والإبداع، لا الاتباع والحفظ والاجترار؟ كيف نربيه ليواجه العالم فى ثقة ويحقق ذاته بجدارة ليشق طريقه دون أن يعرقله تراث متخلف أو يغزوه فكر منحرف، وليعطى بقدر ما يأخذ، ويرشد كما يسترشد،

ويطلق حكمته كما يردد كل حكمة مأثورة؟ والأمة تسود بقدر ما تخلق، فالخلق أهم من الكثرة والاتساع والمواد الأولية. وللإبداع نشوة ساحرة، فإذا جاء بث صوته غير مبالٍ بالجو الخانق ولا القوانين المكبلة.

١٩٨١/٧/٣٠.

الفكر بين السلف والخلف

يسألون كثيراً عن الفكر أين ذهب. لمَ لاتوجد نماذج فذة على مثال العقاد وطه حسين وعلى عبد الرازق و.. و..؟

والحق أننا لم نصب بالعقم فى إنتاج الرجال، وبيننا كثيرون قد بلغوا فى العلم درجات عالية فاقوا بها السابقين، وحازوا من قدرات التفكير مثل أسلافهم وأكثر، إذن فأين المغامرات الفكرية فى الفلسفة والمجتمع والحضارة؟. المسألة أن الأولين عاشوا فى مناخ يقدس الحرية ويعتز بها ويتعامل معها ليل نهار. حتى الذين رأوا فى الحرية السياسية ثوباً فضفاضاً يجب تضييقه كانوا على رأس المنادين بحرية الفكر فى مجال الثقافة والحضارة. وكان قصارى ما يلقاه المفكر إذا تجاوز الحد فى نظر المجتمع أن يقدم إلى القضاء الذى كان بدوره فى مقدمة الفئات التى تقدس الفكر وتعرف له حقه. أما المفكرون المعاصرون فقد عاشوا فى مناخ آخر يقدس النظام لا الحرية، فيدعو إلى التجمع

الواحد والرأى الواحد ، ولا يتسامح مع المخالفين والمغامرين . فَعَمِلَ فى نطاقه مَنْ عَمِلَ ، وصمت من صمت ، ثم غلب على الجميع الانشغال بمطالب الحياة الملحة بعد هجوم(وحش الغلاء .

ونحن نأمل اليوم أن يتغير كل شىء بعد ١٥مايو، وبعد أن آن مصير الثقافة والفكر إلى أيدى المثقفين أنفسهم .

١٩٨١/٨/٦ .

إليك المتهم الحقيقــى:

تتردد الشكوى من التليفزيون كثيراً باعتباره المسئول عن انصراف كثيرين عن القراءة، أو عن المصدر الحقيقى للثقافة الجادة. وهذا يدعونا للتساؤل عن الموقف الذى يجب اتخاذه بازاء الاختراعات الجديدة التى تخلقها الحضارة فى نموها وتقدمها. هل نطالبها بألا تأتى بجديد من شأنه أن يضعف من مكاسبنا القديمة؟!. نحن لا نملك ذلك بطبيعة الحال، لا نملك أن نوقف الخيال عن الإبداع، ولا أن نجمد الحضارة عند نقطة لا تتعداها. فعلى الإنسان أن يبدع، وعلى الجديد أن يولد، وعلينا نحن أن نتكيف مع كل جديد بحيث نطوعه لخيرنا وخير الإنسانية. فالحق أن التليفزيون ليس مسئولاً عن انصراف من انصرف عن القراءة، أما المسئولية فتقع علينا نحن الذين لم نزود أبناءنا بالمناعة الثقافية الكافية التى تمكنهم من الاستمتاع بالتليفزيون دون تفريط فى القراءة والثقافة الجادة، نحن الذين لم نهيىء لهم التربية

الضرورية فى سنى الطفولة والشباب ونحن الذين نيسر لهم وسائل الاطلاع بالمجان أو بالأسعار الزهيدة، ونحن الذين حرمناهم من المناخ الحر الصالح لازدهار الفكر والفن، من أجل ذلك جاء التليفزيون فوجدهم ضحايا جاهزة على تمام الأهبة للارتماء فى أحضانه دون قيد أو شرط، بل وإدمان التعامل مع برامجه الترفيهية وتجنب عروضه الجادة والثقافية. هذه هى المشكلة فى جوهرها، إنها كامنة فينا لا فى التليفزيون، فعلينا نحن أن نقوم بواجبنا نحو أنفسنا ونحو أبنائنا لنعدهم لمواجهة الحياة كما ينبغى لهم، وعند ذاك يصبح التليفزيون مصدر إشعاع للثقافة والترفيه تتكامل به حياتنا الروحية دون خسارة لقيمة من القيم الرفيعة التى نحرص عليها.

٢٠/٨/١٩٨١.

المجلة فى العصر الذهبـى:

يبدو أنه سيمر وقت طويل قبل أن نعالج الركود الثقافى معالجة حاسمة. وقد اتفق الرأى على أن الكتاب هو المرجع الأول للثقافة الجادة، كما اتفق الرأى على أن أزمته يمكن أن تحل بتيسير توصيله إلى القارىء بالمجان عن طريق دار الكتب وفروعها، وقصور الثقافة وغيرها، كذلك بالطبعات الشعبية زهيدة الثمن أو بدعهما، ولكن كما قلت يبدو أنه سيمر وقت طويل قبل أن نشرع فى التنفيذ ولكيلا يستفحل الأمر فى فترة التردد والانتظار أقترح أن نعنى عناية خاصة. وجادة بالمجلات. فمن الممكن أن تحل المجلة الثقافية الجادة محل الكتاب ولو لدرجة ما، ولذلك بجعلها موصلاً جيداً لما يدور فى العالم من حولنا من تيارات جديدة فى الفكر العلمى والفلسفة والفكر والآداب والفنون، فتقوم بوظيفة العديد من الكتب الجادة، وتباع بسعر يسير لا يشق على الأغلبية الساحقة من محبى المعرفة ولن يطالبنا ذلك بالمستحيل، فما

علينا إلا أن نجدد المجلات الموجودة بالفعل أو أن نضيف إليها مجلة جديدة تماثل مجلة فصول فى المستوى، على أن تخصص للثقافة العامة، وأن تصدر أسبوعية. ومما يذكر بهذه المناسبة أن جيلنا تربى ثقافيًّا فى بدء شبابه فى المجلات الأسبوعية والشهرية، فقد كانت الكتب قليلة نسبيًّا أما المجلات فكانت كثيرة وجادة، وفوق صفحاتها دارت المعارك الفكرية، وتدفقت التيارات الفنية والاجتماعية، وترادفت المعلومات عن تراثنا القديم والفكر المعاصر لنا فى العالم كله، فكانت مدخلنا للنضج، ومرشدنا إلى فكر العالم وأدبه وفنه، ما دام الكتاب فى عسر، وما دمنا نتكلم كثيراً ولا نكاد نفعل شيئاً فلمَ لا نعيد تجربة المجلات وعصرها الذهبى التى تيسر فوائد لا حصر لها بأسعار لا تشق على أحد؟.

.١٩٨١/٨/٢٧

الإساءة إلى سمعة البلاد !

تعلو أصوات أحياناً باتهام بعض الأعمال الفنية بالإساءة إلى سمعة البلاد ، وهذا الاتهام لا يصبح عدلاً ومنطقاً إلا إذا كانت البلاد تحوز في الواقع سمعة طيبة ، ثم انقض الفن على هذه السمعة بالتحريف والتشويه فأساء إليها لغرض من الأغراض . أما أنْ يتصدى الفن للجوانب السلبية فى المجتمع فيعريها ويهتك عنها أستار الزيف والنفاق لينبه الضمائر، ويوقظ الهمم ، ويشحذ الرغبة فى التغيير والإصلاح ، فلا يجوز أن يتهم بالاساءة إلى سمعة أى قيمة شريفة ، فلا توجد إساءة أصلاً ، ولا سمعة طيبة تعرض لها أحد بسوء . إنما يسيء إلى سمعة البلاد ــ أى بلاد ــ ما تتردى فيه من تخلف أو نقص فى مقوماتها الحضارية ، وما قد يتفشى فيها من جهل ومرض وفقر واستبداد وإهدار لحقوق الإنسان، وتأخر فى الفكر والعلم والفن ، ويسيء إليها أكثر أن تتهاون فى الإصلاح ومحو الآفات والسلبيات ،

ويسىء إليها أكثر وأكثر أن تتهم ما يذكرها بواجبها، أو يحثها على مضاعفة العمل بالإساءة إلى سمعتها، وما يخفى شىء مما يجرى فى بلد عن العالم الذى أصبح وطناً كبيراً واحداً بفضل وسائل الاتصال الحديثة والنشاط السياحى، فالفن هنا لا يفشى سرًّا ولا ينشر نميمة، ولكنه يقوم بوظيفة جوهرية من وظائفه، وهى نقد المجتمع والحياة والإنسان، ويلعب دوره فى البناء والجدية العامة الرشيدة النزيهة. ولو أنه تجاهل واقعه ليقدم صورة زائفة كاذبة لخان نفسه، وخان مواطنيه، وخان رسالته، وتحول من فن إلى إعلان تجارى أو مخدر من المخدرات ــ وقد يقال إن البلاد لا تخلو كذلك من إيجابيات فلم لا يركز الفن عليها؟. والحق أنه يندر أن يخلو عمل فنى ناقد من إشارة إلى إيجابية من الإيجابيات، وحتى لو خلا من ذلك فإن وسائل الإعلام تنوه بالإيجابيات صباح مساء، فالمسألة ليست غيرة على الإيجابيات بقدر ما هى ضيق بالنقد وسخط على كشف الحقائق الأليمة وامتعاض مما يذكر بالواجب. لنذكر هذا، ولنذكر أيضاً الأعمال الفنية الأجنبية البالغة الجرأة فى النقد التى لا ترى بلادها بأساً من نشرها فى أنحاء العالم دون أن تهتز ثقتها فى نفسها فتستحق من أجل ذلك الاحترام، كما تنال الأعمال الإعجاب والتقدير.

١٩٨٢/١/١٤.

اللامبالاة .. والتربيــة :

التربية قوة شديدة الفعالية، باقية الأثر، تتكفل ببناء المواطن المنشود منذ النشأة الأولى. ولعلك لم تنس الضجة التى اجتاحت منذ قريب أجهزة الإعلام والمجالس القومية حول «الإنسان المصرى» وإعادة بناء شخصيته، فهل يا ترى ترجمت الضجة إلى منهج تربوى فى مدارسنا ؟. وسنجد فى التراث ما يؤيد التربية الرشيدة من بذور كريمة مؤثرة، ويعين على تصوير الناشىء فى الصورة التى يتطلبها العصر فعلينا أن نغرس فى النفوس حب الوطن وتقديس العمل، وحب العلم والمعرفة، والشوق للاكتشاف والاختراع، والتسامح الأصيل مع مختلف العقائد والديانات. ومن حسن التوفيق أننا سنجد فى الدين والفكر الدينى المستنير ما يؤيد ذلك ويحث عليه دون افتعال أو تحايل، بالنصوص الصريحة والأخبار الصادقة. وما أجمل أن تنسجم مطالب الدنيا والدين، فيصبح الفكر والعلم والعمل وسائر أسس الحضارة

الحديثة فرائض دينية وبينات على الهدى والتقوى ، وأن يستوى المؤمن رمزاً للحضارة المتجددة مع الزمان لا يتخلف عن مجراها ، ولا ينحرف عن غاياتها الإنسانية النبيلة ، مثالاً للإنسان العامل الجاد الملتزم صادق الضمير الذى يألف ويؤلف ، يحب من يتجانس معه ويتعاون معه ، كما يحب من يخالفه ويتعاون معه طالما قام التعاون على الاحترام المتبادل فى رعاية حقوق الإنسان . أجل إن التربية لا تجود بآثارها بين يوم وليلة ، ولكنها تبقى مع الزمن وتتوارثها الأجيال .

٢١/١/١٩٨٢.

دروس من الزعماء الراحلين:

التفكير فى المستقبل ينبع من الحاضر ويرجع إلى الماضى. فالماضى والحاضر والمستقبل تيار واحد متصل لايتجزأ. من أجل ذلك فإن الحديث عن الزعماء الراحلين حتم لاغنى عنه، فإضافاتهم باقية فى حياتنا بإيجابياتها وسلبياتها، ولامفر من التعامل معها بطريقة أو بأخرى. وطبيعى أن يسوق الحديث عنهم إلى تقييمهم، ومهما التزم المتحدثون بالموضوعية وسلامة القصد فلن يخلو تفكيرهم من الأهواء العقائدية والحزبية التى توجه أفكارنا.

ولذلك فإن التقييم العادل الكامل لأى زعيم لن يتأتى إلا بعد انقضاء عصره الحضارى، عند ذاك تسكن زوابع الأهواء، وينحسر غبار الأغراض عن الصورة، فتتضح الرؤية، ويقول التاريخ كلمته. وعلينا نحن ـــ المعاصرين ـــ أن نجاهد أنفسنا ماوسعنا ذلك، لعلنا نهتدى إلى مافيه خيرنا وخير أمتنا، فإذا حالفنا التوفيق فى جهادنا

فقد نخرج بدروس مفيدة لحاضرنا ومستقبلنا . وما أبرىء نفسى من الأهواء التى أشرت إليها ، ولكننى أعتقد أن كثيرين يتفقون معى على تقدير ما ورثناه من الماضى من قيم كالحرية والعدالة الاجتماعية ، وإنجازات مثل تمصير الاقتصاد والتصنيع وتغيير التركيب الطبقى ، ولكى .تتم الفائدة من الرجوع إلى الماضى فعلينا أن نتذكر ما استدرجنا إلى الهزائم المنكرة وضياع الأموال والأرواح والأرض ، فترك بلادنا الجميلة أطلالاً تجرى من تحتها المجارى الطافحة ، وما استدرجنا إلى الهزائم إلا أننا لم نمد أرجلنا على قد لحافنا ، وثملنا بجنون العظمة ، فانبرينا لقيادة الثورات وتحرير الأمم تاركين شعبنا يغرق فى الأمية والعرى والجوع والأمراض . لذلك بدأنا ثورتنا المباركة فى وقت واحد تقريباً مع ثورة الصين الشعبية ، ولكنها ركزت على البيت على حين تبنينا مشكلات الكرة الأرضية ، فانظر أين تقف الصين اليوم وأين نقف نحن ، هذا ما أرجو أن نفيده من الرجوع إلى الماضى وتذكر الزعماء ، أما التقييم النهائى لأى رجل فسيسجل فى وقته المعلوم لا قبل ذلك .

١٩٨٢/٢/٢٥ .

الأمة الصغيرة فى عالم العمالقـة :

فى هذا العالم الذى يتصارع فيه عمالقة أشداء ماذا يبقى للأمم الصغيرة لكى تضمن لنفسها حياة كريمة جديرة بالبشر؟ العمالقة يستأثرون بالقوة والنفوذ والثروة والسلاح والعدد، أما الأمم الصغيرة فتتلمس سبيلاً وعراً فى حذر وقلق، ويتعذر عليها النهوض إن لم تحسن علاقتها بهذا العملاق أو ذاك، فهى تقترض المال للتنمية والغذاء، والسلاح للدفاع عن كيانها، والتكنولوجيا للتطور والتقدم، وتحلم دائماً باستقلال حقيقى غير زائف، واستقرار تحقق فى ظله لشعوبها بعض حقوق الإنسان، وهى لا تستطيع أن تكبر حجمها، ولا أن تزرع كنوز الثروة فى باطن أرضها، ولا أن تتقى سيول الأفكار والمعتقدات والبدع التى تغزوها مع الهواء متحدية تراثها وتقاليدها وإرادتها، فما عسى أن تفعل لكى تحقق ذاتها وتصون جوهرها وتملك حرية الاختيار فى تقرير مصيرها بوعى واستنارة؟ الحق أنها تستطيع أن تسيطر على عنصرين

هامين من عناصر البناء الحضارى: الأصالة والعلم، وأعنى بالأصالة التربية الرشيدة المرتكزة على أنقى ما فى التراث والواقع من مبادىء وقيم، بحيث تتبلور فى طراز بشرى يتسم بالصلابة والسماحة، فيحب الناس ويحبونه، ويستحق الاحترام والحب معاً، وأعنى بالعلم التبحر والبحث، كى ننتقل من مرحلة التلقى إلى مرحلة المشاركة والعطاء.
بذلك تحقق الأمة الصغيرة لنفسها سيادة أدبية ومادية تفوق حجمها، وتثبت للعالم أنه لاغنى له عنها، كما أنها لاغنى لها عنه، وأن للصغير دوراً كما أن للعملاق دوراً، وأنها مجموعة بشرية ذات فعل ورأى، لا سلعة فى سوق.

٨/٤/١٩٨٢.

رمضان بين الجدية والترفيـــه:

.. قيل عن البرامج الرمضانية إنها جادة أكثر من اللازم ، ولعل العادة لعبت دورها فضاق البعض بما لم يتوقعوه قياساً على الأعوام الماضية ، وفي اعتقادى أنه لا ملامة على المسئولين فى تخطيطهم ، بل إنهم يستحقون التأييد والتشجيع لخلق عادات ذوقية جديدة من شأنها النهوض بالجماهير إلى مستوى أرفع ، ولاشك أن إرضاء الجميع ضرب من المحال ، ولن يخلو الأمر من مغالين يطالبون بأن تكون الإذاعة ـــ سمعية ومرئية ـــ خالصة للتهذيب والتثقيف ، ومغالـين آخرين يودون لو كرست كلها للترفيه ، وليت المسئولين يحاولون إلغاء التفرقة بين الجدية والترفيه . تلك التفرقة التى تشجع على تقديم الموضوعات الجادة بأسلوب جاف يشق على بعض الأنفس ، كما تغرى بعرض الموضوعات الترفيهية بأسلوب قد لا يخلو من ابتذال ، والحق أن أى موضوع يحوى مضموناً وأسلوباً للعرض ، والمضمون قد يكون بالغاً فى جديته ، ولكن

ذلك لايمنع من عرضه عرضاً جذاباً يؤنس النفس ويلذ السمع والبصر. والإذاعة بنوعيها تقدم الكثير من هذا النوع ، ولا أجاوز الصدق إذا قلت إن بعض البرامج العلمية لا تقل فى متعتها عن أجمل المسلسلات . إن إلغاء التفرقة بين الجدية والترفيه خليق بأن يزيد من فرص الموضوعات الجادة، مع عدم التضحية بجانب الإمتاع والمؤانسة، ومع التسليم باستثناءات يتعذر فيها الجمع بين الاثنين، وأختم كلمتى بتهنئة المسئولين عن الإذاعة بنوعيها عن جهدهم الصادق فى خدمة شعبنا العريق .

١٩٨٢/٧/٢٩ .

للشباب مشكلة أدبية أيضاً

إذا كان للشباب مشكلاته التى تناقش اليوم فى جميع المؤسسات ، فإن للأدباء الشبان مشكلاتهم الخاصة التى لا يجوز أن تغفل أو أن تهمل ، ولعل مشكلتهم الجوهرية هى : كيف نكتشف موهبة الموهوب منهم ؟ وكيف نحقق لها الاعتراف الجدير بها ؟ وكيف نبوئها مكانتها المشروعة ؟

وقد يقال إن على الأديب الشاب أن يشق طريقه فى الصخر بقوة إيمانه وإرادته ، وإن عسر الطريق تربية ضرورية وانتخاب طبيعى . ولكن علينا أن نذكر أن دنيا الفن تحفل اليوم بالآلاف موزعين بين القصة والرواية والمسرح والشعر مقابل عشرات كانت تتنافس على الوجود فى مطالع القرن ، وعلينا أن نذكر صعوبات النشر التى ضاعفت من حدتها الأزمة الاقتصادية .

وقد كان لى اقتراح فى هذا الشأن طرحته منذ سنوات ، فلا

بأس من إعادة طرحه مرة أخرى لعل وعسى، ومفاده أن تشكل لجنة قومية من أساتذة جامعيين متخصصين، يلحق بهم ممثلان لوزارتى الثقافة والإعلام، تكون مهمتها فحص وتقييم كافة الأعمال الأدبية التى ترد إليها من الشادين فى الأدب الذين لم تكتشف مواهبهم بعد، أو الأدباء الذين لم يوفقوا إلى نشر إنتاجهم بطريقة منتظمة. وأن تختار ما يصلح للنشر من هذه الأعمال فتقرر نشره، وتلتزم الوزارتان بنشره ومكافأة أصحابه فى شتى وسائل التعبير التابعة لهما، بحسب طبيعة العمل المختار، بمعنى أن ينشر فى مجلة إن يكن قصة قصيرة، أو كتاب إن كان رواية، أو يدرج فى خطة المسرح إن كان مسرحية، أو يعد للإذاعة أو التليفزيون. وأن يتولى السادة الأعضاء تقديم الأعمال فى صورة مقدمات للكتب المطبوعة أو مقالات فى المجلات، أو من خلال أحاديث تلقى فى البرامج الثقافية.

أعتقد أننا بهذا الاقتراح ننقذ مواهب كثيرة من الضياع، ونساوى بين أدباء العاصمة والأقاليم فى الفرص المتاحة.

١٩٨٢/٨/١٢.

دور الثقافة فى النهضــة :

شهدنا منذ قريب تعبئة عامة لتفجير ثورة خضراء لتوفير الغذاء للشعب، وتابعنا -ومازلنا نتابع- تعبئة أخرى لمواجهة مشكلاتنا الاقتصادية وإيجاد الحلول بها، ونلمس اهتماماً شاملاً وعميقاً بسياستنا الخارجية وشئون الدفاع، وكل أولئك مما نحمده للقائمين به، ونستبشر به خيراً فى الإعداد لغد أفضل. غير أننى عندما أوازن بين ذلك الاهتمام المحمود وبين ما تحظى به الثقافة من اهتمام عابر، أشعر بأنها ــ الثقافة ــ لا تنال حقها من الرعاية الواجبة، ولا تنزل بحيث تنزلها الحضارة بموضعها المؤثر الفعال، ولعلك واجد من يتصور أننا نبدأ بما يجب أن نبدأ به، لأنه يمثل أساس البناء، وأن المسألة مسألة أولويات، فلا اهتمام للثقافة ولا استهانة بها، وسيجىء وقتها فى الجدول عاجلاً أو آجلاً بعض الوقت.

ولكن الثقافة ليست ترفاً روحياً يمكن تأجيله، ولا فترة استرخاء وراحة تعقب العمل الشاق لتنشط الحواس وتجدد الحيوية، إنها فى الواقع المادة المكونة من المعانى والمضامين والمعارف والألوان والأنغام التى تخلق بشتى عناصرها روح الإنسان وعقله وبصيرته وموقفه وسلوكه، بمعنى آخر هى فى مقدمة القوى التى تبنى الشخصية الإنسانية وتهبها خواصها وصفاتها المكتسبة، وما المواطن فى النهاية إلا ثمرة تتقاسمها الفطرة والثقافة.

وقد نهتدى فى بحث مشكلاتنا الاقتصادية والسياسية إلى حلول رشيدة، ولكن ما قيمة هذه الحلول إذا لم يعهد فى تنفيذها والتعامل معها إلى عقول سليمة وأيد أمينة وضمائر حية؟!. وفى ماضينا القريب أقيمت مؤسسات قيمة، ثم تعرضت للتلف والخسران فريسة للسلبية واللامبالاة والإهمال والتسيب، وإذن فلابد من الاهتمام بالإنسان وبما يبنى روحه وشخصيته مع ـ أو قبل ـ الاهتمام بالأشياء والمؤسسات، ولا أقصد أن أسمع فى الثقافة قولاً جميلاً، ولكنى أود أن يترجم الكلام إلى أفعال، والوعود إلى اعتمادات مالية، ليتم استبشارنا بالجهود المبذولة فى الميادين الأخرى، ونوقن بأن البناء سيقوم على أساس متين حقًّا، وهو المواطن المثقف الملتزم.

١٩٨٢/٨/١٩

كيف نواجه الحياة؟ :

من البديهيات القول بأن الحياة تمضى فى تغير مستمر لا يعرف التوقف ، فكل يوم يأتى بجديد فى الفكر أو العمل أو العلاقات الاجتماعية . ومنذ مدارجنا الأولى تعدنا التربية لمواجهة الحياة ، ولكنها كثيراً ما تقوم على تصور للحياة يختلف عن واقعها بدرجات متفاوتة ، فقد تضع فى الاعتبار ماجد من عوامل دون بعض ، وقد تفوتها عوامل لم تزل فى أرحام التطور وفى حاجة إلى خيال وثاب للكشف عنها ، لذلك يتعرض تكيفنا مع حياتنا إلى سلسلة متواصلة من المتاعب يصاحبها القلق وتواكبها العثرات . من أجل ذلك وجب أن تزودنا التربية إلى جانب التوجيهات الثابتة المطمئنة بالقدرة على مواجهة المشكلات الجديدة وإيجاد الحلول لها ، أو بمعنى آخر أن تنمى فينا القدرة على الخلق والإبداع باعتبارها الرفيق الحارس للتصدى للمجهول .

هذه القوة هى العماد الحقيقى للتطور والتقدم ، ومن أجل ذلك وجب علينا أن نشجعها بكافة الوسائل ـــ وأن نهيىء لها المناخ الصالح من الحرية التى لا حياة لها بدونها .

ولهذه القدرة الخلاقة عدوان لدودان اشتهرا على مدى التاريخ : الرجعية التى تتجسد عادة فى القوانين المناهضة لحرية الفكر، وما يلحق بها من تقاليد عمياء تطارد الأحرار بالقمع أو السخرية. أما العدو الثانى فهو ما تؤمن به بعض الأمم ـــ كرد فعل لمحنة طارئة ـــ من أنها تملك فى تراثها كافة الحلول لمشكلات اليوم الغد ، وبذلك تعتمد على ذاكرتها بدلاً من أن تعمد على قوتها الخلاقة المبدعة ، ملقية بنفسها فى أحضان الجمود والفناء . فلنحذر العدوين . ولنفسح صدورنا لكل جديد ، لا باعتبار أن كل جديد هو خير ، ولكن باعتباره مشروعاً قابلاً للمناقشة ، وقد يصبح جديراً بالمعايشة ، معتمدين فى ذلك على العقل والعلم والتجربة . وبديهى كذلك أننى لا أدعو بذلك إلى إلقاء التراث فى سلة المهملات ، فهو تصور ساذج لا يقل فى سذاجته عن إضفاء القدسية والعصمة عليه ، ولكننى أدعو إلى التحرر والفكر فى مواجهة الحياة ، وقهر الكسل العقلى والوجدانى ، ولن يصح فى النهاية إلا الصحيح .

١٦/٩/١٩٨٢ .

قيمة الفرد والحضارة:

قيمة الفرد ــ متمثلة فيما يتمتع به من حقوق الإنسان ــ مقياس لا يخطىء فى الحكم على حضارة. حتى الحضارات الشمولية التى تقوم على السلطان المطلق، فهى تقرر أنها تفرض سلطانها المطلق من أجل سرعة الإنجاز واقتلاع الرواسب والعقبات، وأن هدفها الأخير هو كرامة الفرد ورفاهيته. وتاريخ الحضارة من هذا المنطلق عبارة عن سلسلة من المعاناة المتصلة تحرز كل حلقة فيها حقاً للفرد، واعترافاً جزئياً بقيمته. وحقوق الفرد كثيرة، منها على سبيل المثال (المساواة أمام القانون والأمن والأمان، وحرية العقيدة والفكر والعمل، والتعليم والثقافة، وتحقيق الذات، واختيار الحكام ومحاسبتهم، وحقه فى الخدمات العامة من صحة ومواصلات ونظافة، وأخيراً وليس آخراً حقه فى حسن المعاملة فى مراكز القوة والسلطان. وليست العبرة بأن تتضمن القوانين العامة هذه الحقوق أو بعضها، ولكن العبرة الحقيقية

بروح التطبيق فى السر والعلانية معاً. العبرة الحقيقية فى أن تتجاوز النصوص المتكوبة إلى صميم القلوب والإرادات، وأن تلحق بركب العادات والتقاليد المتوارثة، وأن تنفذ بإيمان وتلقائية. وما أجدر أن نراجع أحوالنا من حين لآخر لنرى كيف تتقدم مسيرتنا الحضارية؟ أى موضع يحتاج لترميم؟ وأيها يحتاج لتجديد؟ وأيها يلزمه خلق جديد؟ كى نضمن للمسيرة تقدماً رصيناً هادئاً، خالياً من المفاجآت المزعجة.

١٩٨٢/٩/٣٠.

بشائر عصر جديد:

ما نشر منذ زمن غير قصير عن تطوير السلاح والذخيرة حدث جدير بالالتفات والعناية، لا لقيمته الدفاعية فحسب، ولكن بوصفه إنجازاً علمياً ناجحاً فى هذه الفترة التى نتطلع فيها بكل قوة إلى استيعاب العلم الحديث والتحول فى ميدانه من مجرد التلقى والحفظ إلى مرحلة الابتكار والعطاء، وقبل ذلك قرأنا فى الصحف أيضاً عن زيادة الإنتاجية الرأسية فى الأرز والذرة، وعن فضل الخبرة العلمية المصرية فى ذلك. وبين هذا وذاك قرأنا عن احتضان أكاديمية البحث العلمى للخطة، وترتيب عناصرها تبعاً لأهميتها وتوفير أسباب البحث العلمى لها بما يستهدف فى النهاية زيادة الإنتاج وتطويره. وإذن فنحن ندخل عصراً جديداً، هو عصر الركون إلى العلم وتطبيقاته محلياً وبطريقة شاملة ومنتظمة فى مواجهة تحديات الحياة، عصر الاعتماد على الذات فى النشاط العلمى فى زمان تتقرر فيه منزلة الإنسان بحسب تفوقه

العلمى وإنجازه فيه ، وفى هذا المجال لا تعلو أمة بضخامتها ، ولا تسفل بصغرها ، ولا تتقدم لثرائها ، ولا تتأخر لفقرها ، ولكنها تحتل درجة من الوجود هى التى يؤهلها لها تفوقها العلمى وإنجازاتها فيه . فالعلم هو التقدم وهو السيادة وهو القوة ، والأمة الذكية هى التى تدرك هذه الحقيقة وتعمل بها ، فتوفر للعلماء جميع ما يحتاجون إليه من مال وخدمات وتقدير. إنه سحر العصر الحديث الذى يختصر الزمان والمكان ويخلق الوفرة والجاه ، ويحقق السيادة فى أنبل مظاهرها ، ويكرس فى عالم الفكر المنهج العلمى كأنجح وسيلة فى الكشف عن حقائق الدنيا التى نعيش فيها ، فما بالك إذا مارسته أمة ذات تراث خالد فصممت على أن تقيم صرحه الشاهق على قاعدة من الإيمان ، وتؤيده بقيم إنسانية لا تعرف العوج ؟!

١٩٨٣/١/٦ .

دراسات المجالس القوميـة :

أسعدنى أن أقرأ فى إحدى الصحف إعلاناً عن مطبوعات جديدة تتضمن بعضاً من دراسات المجالس القومية المتخصصة . وسوف تتلوها مطبوعات أخرى بإذن الله حتى يتم طبع جميع الدراسات ، وهذه البحوث تتناول شتى أوجه النشاط فى حياتنا من إنتاج وزراعة ، وصناعة ، وتعليم ، وتربية ، وثقافة ، وشباب ، وقوى عاملة ، وهى وإن تكن تستهدف المستقبل كاستراتيجية إلا أنها تنطلق بالضرورة من الحاضر فحصاً ودراسة ونقداً وتقويماً ، فهى رؤية شاملة للواقع والمستقبل . تصدر عن أهل العلم والخبرة ممن عركتهم التجربة والعمل والعلم . وهى بذلك تصلح مرجعاً ومرشداً للباحث ، وللمواطن الصالح المشغول بما يهم وطنه بصفة عامة ، وهى مصابيح تضىء الطريق للشباب وتدعوهم إلى تأمل هموم وطنهم والالتزام بواجبهم الوطنى والاستعداد لحمل الأمانة عند بدء حياتهم العملية . وإنى أدعو السيد

المسئول عن رعاية الشباب إلى توزيع هذه المطبوعات على أشباله لتندرج ضمن نشاطهم الثقافى ولتأخذ حظها من الاطلاع والمناقشة، وتلعب دورها المنشود فى تكوين شخصياتهم، كما أقترح على وزارة التربية والتعليم تأليف كتاب يتضمن مختارات من هذه البحوث للمطالعة الحرة، ويكون ضمن المصادر التى تختار منها موضوعات الإنشاء. إن أى كتاب فى التربية الوطنية لن يفوق هذا الكتاب فى أثره فى ناحيتى التربية وبناء الشخصية. وإننا لنرجو أن تتحقق جميع الاقتراحات الواردة فى هذه الدراسات الهادفة لبعث حضارة قومية وإنسانية تقوم على أساس متين يجمع بين العناصر المادية العصرية والقيم الروحية الرفيعة.

١٣/١/١٩٨٣.

أهلاً بالجمهور الجديد

الشكوى عامة هذه الأيام من هبوط المسرح والسينما . فإذا سألت العاملين فى الحقلين عن تفسير، حدثوك بإسهاب عن نوعية الجماهير الطارئة، ممن تحسنت أحوالهم المادية تحسناً خارقاً للمألوف، بعد فقر تاريخى طويل بسبب الظروف الاقتصادية الراهنة، والحق أنه كان يوجد دائماً نوعان متجاوران فى كل فن . كان يوجد مثلاً مسرح خاص ومسرح شعبى، فإلى جانب مسرحى رمسيس وفاطمة رشدى وجدت مسارح روض الفرج، كذلك كان يوجد الغناء الخاص والغناء الشعبى، وأفلام ذات مستوى، وأفلام دون المستوى، والجديد فى الأمر هو تراجع الفن الجاد، فن الصفوة المطحونة بالأزمة الاقتصادية، فاختل التوازن حتى ظن البعض أن ظاهرة جديدة اكتسحت العالم الفنى .

والأمر فى جملته لا يدعو للتشاؤم المطلق ، بل لعله لا يخلو من جوانب إيجابية ، فيجب أن نعد تحسن أحوال الكادحين ظاهرة طيبة ، وأن نشكر الظروف صاحبة الفضل فى ذلك ، فهم جمهرة شعبنا التى طالما تمنينا لها حياة أفضل. ثم إن تعلقهم بالمسرح والسينما ــ مهما تكن نتائجه المرحلية من الناحية الفنية ــ ظاهرة إيجابية أخرى لا ينعدم فيها الحس الفنى ، وبفضلهم أصبحت المسرحيات تعرض أعواماً ، والأفلام شهوراً. وسوف يلحق بالتحسن المادى تحسن تعليمى وثقافى فى الجيل الثانى من الأبناء ، وسينشئون وقد اصبح المسرح والسينما من تقاليدهم الأسرية فيكونون دعامة لفن أرقى فى مستقبل غير بعيد ، فلا تحتقروا فنهم ، فهو الفن الذى يناسب نشأتهم الفطرية ، والذى لا حيلة لهم فى الاستجابة إليه .

والأولى بالمؤلفين الغاضبين أن يدرسوا أذواقهم ، لا ليهبطوا إليها دون قيد أو شرط ، ولكن لابتكار صيغة جديدة توفق بين فكر المؤلف الجاد وذوق الجمهور الفطرى ، ولعله الفن المنشود فى هذه المرحلة من تطورنا الاجتماعى .

٢٠/١/١٩٨٣ .

خبرتنا العلمية والتنمية:

لم يسبق لأكاديمية البحث العلمى أن أتيح لها المشاركة الشاملة فى خطة التنمية كما يتاح لها اليوم، وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على أن الدولة أقرت للعلم بالدور الذى يجب أن يقوم به فى الإصلاح والتنمية، والأصح أن نقول إنها أقرت بذلك لعلمنا المحلى، فإنها ومنذ عصور النهضة الأولى لم تتوان عن الاستعانة بالعلم والخبرة العالميين. أجل إن الغلم عالمى بطبعه ومنهجه، وإنه لاوطن له كما يقال، ولكن لكل بيئة «ملابساتها الخاصة وإمكاناتها الذاتية، وهذه لا يكشف عنها إلا أهل الخبرة والعلم من أبنائها، ومن الاجتهاد فى ذلك يجىء المنطلق إلى الإنجازات العالمية، من أجل ذلك قد يبلغ تبحرنا فى التراث والعالمية درجة فائقة من العمق والشمول، ويظل واقعنا الذى نعايشه مجهولاً أو شبه مجهول لم يحظ بما يستحق من فحص ودراسة، وكأنه مريض أعيا القوم مرضه، كلما ألح عليه الألم اقترح

البعض علاجه بدواء أثبت فاعليته فى القديم من الزمان أو اقترح آخرون دواء أثبت جدواه فى أوربا أو أمريكا ، على حين أن الشفاء الحقيقى قد يكون مرهوناً بتشخيص الواقع ، والاهتداء إلى دواء مناسب فى صحرائه أو جباله وبيد أبنائه القادرين أكثر من سواهم على تشخيصه وعلاجه . آن لنا حقاً أن نعتمد على أنفسنا ، وأن نستغل ما نملك من طاقات وخبرات ، وأن نتحول من مقتبسين من التاريخ أو من حضارة الغرب إلى خلاقين مبدعين ، وفى كلمة : آن لنا أن نعرف واقعنا معرفة مباشرة وأن نصف له الدواء اللازم ، ولا بأس عند الضرورة من الاستعانة بالآخرين ، فهو أمر مشروع لا يشذ عنه نشاط علمى فى الشرق أو الغرب ، ولنذكر دائماً أننا نعيش فى عصر لا قيمة لاستقلال فيه إلا إذا اعتمد على قدر من الاستقلال العلمى ، وإلا قضى علينا بالتبعية مهما تكن قوتنا أو عددنا ، ومهما كان تاريخنا .

١٩٨٣/٧/١٤ .

وزارة الثروة :

هى وزارة التربية والتعليم . توجد وزارات للزراعة والصناعة والطاقة الخ ، وكلها ثروات عظيمة ونافعة بغير جدال ، ولكن ثروتنا الأولى هى البشر ، النساء والرجال ، العقول والقلوب والإرادات ، وهى إذا حسن إعدادها قوة لا تدانيها قوة ، فماذا نأمل من الوزارة المختصة باستثمارها ؟ . نأمل :

١ ـــ أن تمحو الأمية الأبجدية ، وذلك بنشر التعليم العام كى يستوعب كل طفل ، والإمساك به حتى لا يفلت فى الطريق ويرتد إلى العدم ، وهذا أقصر سبيل إلى محو الأمية .

٢ ـــ أن تمحو الأمية العقلية ، وذلك بالتربية الثقافية والتدريب على عشق المعرفة والتذوق منذ السنين الأولى ، وعلى مدى المراحل التعليمية كلها .

٣ـ أن تبنى مقومات الشخصية بالتربية الدينية والقومية والإنسانية .

٤ـ أن تغير أسلوب التعليم لتحوله من طريقة الحفظ من أجل الامتحان إلى ممارسة التفكير والابتكار الخليقة بخلق أجيال جديدة من المفكرين والمبدعين .

٥ـ أن تعد الشباب للعمل فى الحياة المعاصرة وتؤهله لأدق مافيها وأصعبه ، بدءًا من الأعمال اليدوية وحتى أعقد العمليات التكنولوجية .

إنها مهمة كبيرة ومعقدة وخطيرة ، وتشارك بأكبر قدر فى تطوير الأمة وإعادة خلقها من جديد ، وتأهيلها لحياة العصر العسيرة المعقدة ، والوزارة الحاملة لهذه الأمانة هى الأمل ، هى الماضى والحاضر والمستقبل ، ومن حسن الحظ أنها عامرة بالكفاءة والإخلاص والعمل . ترى ماذا انجزت من مهمتها ؟ ، وماذا بقى مما لم ينجز بعد ؟ .

١٩٨٣/٩/١ .

« الرقابــة » :

وظيفة الرقابة هى حماية المجتمع من الانحرافات الأخلاقية والسياسية والدينية فى نطاق ما ينص عليه قانونها ، وفى مجال النصوص والمصنفات التى تراقبها . غير أن أثرها يتجاوز ذلك بحكم طبيعة عملها وبما يمليه المنطق . فهى تحمى الفن ايضا من الابتذال الذى يتسلل إليه بدافع الإغراءات التجارية ، إذ أن أغلب الانحرافات المؤذية للمجتمع هى وليدة لهذه الإغراءات التجارية ، ومن هنا تتفق حماية المجتمع مع حماية الفن نفسه . وقد قلت : أغلب الانحرافات ، ولم أقل كلها ، لأنى أعلم أن الرقابة تمنع بعضاً من الموضوعات الجادة نكوصاً أمام حرية النقد المشروع فى مجالى السياسية والاجتماع ، وهو داء خطير ـــ يجب أن يحسم لصالح الفن والمجتمع فى ظل الديمقراطية الجديدة . وثمة وظيفة ثالثة للرقابة هى أنها تحمى المال المستثمر فى حقل الفن ، فلا تترك المنتجين لاجتهادهم الشخصى حتى ينجزوا أعمالهم ثم تجرى عليها

رقابتها مما قد يعرضهم لخسارة جسيمة مفاجئة ، ولكنها تراقب الأعمال خطوة بعد خطوة بدءاً من الفكرة ، فالمعالجة ، وأخيراً فى صورتها النهائية ، ثم تمنحها الترخيص بالعرض ، وهو بمثابة الضمان الثابت الأخير.

وإذن فالرقابة مسئولة فى الواقع عن المجتمع والفن ورأس المال ، وعليها أن تتحمل مسئولياتها الكاملة بالصدق والأمانة والشجاعة . وقد تخطىء الرقابة ، وجل من لا يخطىء ، وواجب فى هذه الحال الرجوع إلى الحق ، ولكن يجب أن يتم ذلك مع تجنب أن يقع ظلم بأهل الفن ، أو المسئولين عن الرقابة ، فليس من المتعذر تعويض الخسائر من ناحية ، وليس من المتعذر إعادة النظر فى تنظيم الإدارة الرقابية بما يهيىء لعملها مزيداً من السداد والإحكام . أما التحقيق والعقاب فلا يناسبان عمل الرقيب الذى يشبه فى بعض جوانبه عمل القاضى ، وقد يدفعان بالرقباء إلى الشلل أو التزمت المفتعل إيثاراً للسلامة وهرباً من المسئولية أتمنى أن تعبر الرقابة أزمتها بسلام كى لا يثور غبار فى طريق الفن الصادق والرأى الحر والقيم السامية .

١٩٨٣/٩/١٥ .

حول قانون جديد للرقابــة :

لا أظن أن الرقابة فى حاجة إلى قانون جديد كما وعد بذلك السيد وزير الثقافة، فقد انصب النقد على الرقابة بالذات لا على قانونها، وعمل الرقابة دقيق حساس، وهيهات أن يحظى بإجماع فى الرضا عنه. فهى فى حاجة إلى ترشيد متواصل بالنظر إلى ملابساتها المتغيرة التى يندر أن تثبت على حال لفترة طويلة من الزمن، ولعله مما يسدد خطاها أن يعقد الوزير باعتباره ممثلاً للدولة والأغلبية الشعبية مع جهازها لقاءات دورية، وياحبذا لو شهدتها غرفة السينما والنقابات الفنية والنقاد لتبادل الحوار والرأى ووصل الأسباب بينها وبين الرأى العام خدمة للفن والمجتمع، وفى ذلك الكفاية لتطويرها المستمر، وعقد أواصر التعاون بينها وبين الفن وأهله، دون تدخل من قانون جديد، هذا فيما يخص الفنون الجماهيرية التى تقتضى ظروفها الخاصة نوعاً من الرقابة الرشيدة، أما الإشارة إلى ضم الكتاب إلى هذه الفنون فقد

وقفت أمامها مذهولاً غير مصدق، ذلك أن للكتاب قدسية خاصة، وجمهوره ومؤلفوه من خاصة المثقفين، وهم قلة للأسف لا كثافة لهم، وعلى درجة من النضج لا يخشى معها عليهم من ضلال أو تضليل، ولا يتصور وضعهم تحت وصاية كائن من كان، وفضلاً عن هذا وذاك فقد تحرر الكتاب من الرقابة فى عهد يعتبر من الناحية الديمقراطية متأخراً عن العهد الحاضر، فكيف يفكر فى إعادتها اليوم ونحن نبنى للديمقراطية صرحاً ونفتح لها النوافذ والأبواب، ونكسب لها كل يوم موقعاً جديداً؟ الديمقراطية ليست أشكالاً ومؤسسات، ولكنها قبل كل شيء سلوك وأخلاق وتقاليد تبلغ ذروتها العليا فى الفكر وحريته، والكتاب هو الرمز المحسوس لهذا الفكر، ولذلك فالمعاملة التى يلقاها هى المقياس الحقيقى للديمقراطية الحقيقية. وما أعرفه فى وزير الثقافة من همة عالية فى خدمة الثقافة وغيرة على الديمقراطية والحرية وحماس للوطنية والتقدم يجعل أملى فى عدوله عن هذا التفكير أقوى من أى تشاؤم أو يأس.

١٩٨٣/٩/٢٢.

التليفزيون والسينما :

لست متحمساً لعرض أفلام التليفزيون في دور العرض السينمائي، إن التزامها بحدودها الأصلية في التليفزيون يحررها من وطأة الجمهور المباشرة، ويعتقها مما يعرف بجبن رأس المال، وتقاليد نجومية الشباك، ويهيىء لها بذلك فرصة طيبة للتجويد والإبداع والجدية واقتحام التجارب الجديدة وتشجيع المواهب الناشئة في إطار من التهذيب يناسب آلاف البيوت التي يدخلها التليفزيون بلا استئذان ودون شروط، ومن أجل ذلك وبفضله كان الفيلم التليفزيوني ــ كنموذج ومثال ــ هو أملنا القريب في الارتقاء بالفيلم السينمائي فنًّا ومضموناً ونقاءً، وليس قصر عرضه على الشاشة الصغيرة بمضيق من مجاله وتأثيره، بل على العكس، فإنه بطبيعته يتيح له أكبر فرصة لمعايشة وجدان الملايين مما لا يتاح إلا بعض منه في دور العرض، وإنما أخشى على الفيلم التليفزيوني من التأثير المباشر للجمهور

ـ والجمهور شريك للمؤلف فى الفنون الجماهيرية ـ ومن أن يصبح النجاح المادى هو المقياس الأول لنجاحه ونجاح القائمين عليه، ولن ينجو من تأثير الجمهور إنسان مهما شاء، ولن يقاوم إغراء إرضاء الجمهور مهما أراد، فهناك خوف من أن يتحول فيلم التليفزيون مع الزمن إلى فيلم تجارى بدلاً من أن يقدم المثال المنشود للفن الرفيع والرؤية الإنسانية الشاملة. ولعله من الخير للتليفزيون والسينما والناس أن يعاد النظر فى هذا القرار.

.١٩٨٣/١٠/٢٠

قال وزير الثقافـــة :

فى مقال للسيد وزير الثقافة رد به على نقد سبق أن وجه لسيادته فى جريدة الأهالى بخصوص الرقابة ، وردت أقوال جديرة بالتسجيل . من ذلك قوله : « إننى لا أوافق على فرض أية رقابة على حرية الفكر أو حرية الإبداع » ومنها : « إذا كان هذا هو موقفى الشخصى فإن الذى أؤكد عليه أيضاً أن هذا هو موقفى الرسمى النابع من سياسة الحكومة وبحكم عضويتى فيها » . وقال : « كم من الموضوعات الهامة كان للرقابة فيها رأى خاص وكنت أقف بنفسى لمتابعتها ، بل وإصدار قرارات الترخيص بها » (وضرب مثلاً بفيلم الغول) .

وقال أيضاً : إن وزارة الثقافة وهى تفكر فى تعديل قانون الرقابة لم يدر فى خلدها لحظة واحدة أن يأتى التعديل من أجل مزيد من الرقابة ، ولكن لتنظيم أسلوب عمل الرقابة بما يضمن عمق الفهم

وسرعة الاستجابة عند القائمين على أمرها ». وقال ضمن ماقال : «وأخيراً فإن أى تعديل لقانون يستهدف فئة معينة من فئات المجتمع يوجب أن يؤخذ رأى هذه الفئة فى هذا التعديل » .

وهى أقوال كما رأيت منيرة وجديرة برجل يتحمل مسئولية كبرى حيال الفكر والإبداع فى فترة ناهضة من فترات البعث الديمقراطى فى وطننا ، وقد كان لى رأى فى قانون الرقابة أعلنت به إيمانى بكفاءة القانون الحالى ، مع الحث على دعمه ببعض الإجراءات الهادفة للتوجيه والترشيد ومسايرة الواقع فى تغيراته الدائمة ، ولكن إذا قام التعديل على أساس من هذه المبادىء والأهداف فلعله يجىء بمزيد من الخير لنظام العمل من ناحية ، وللفكر والإبداع من ناحية أخرى ، فتحية لوزير الثقافة .

١٩٨٣/١١/٢٤ .

عصر ثقافي ذهبي:

قيل الكثير عن الخمود الثقافي، وقد خضنا في ذلك مع الآخرين، وبعد تأمل آمنت بأن الأزمة تحتاج إلى تشخيص جديد للكشف عن معالم الواقع بمزيد من الوضوح يمكن معه الاهتداء إلى وسائل العلاج بمزيد من الدقة، كيف لا وهناك ظاهرة جلية تشير إلى أننا نعيش أعظم عصر ثقافي في تاريخنا كله!. أجل إن عصرنا الحالي هو العصر الذهبي للثقافة بمعنى من المعاني. قارن بينه وبين أي عصر ما على مدى تاريخنا القديم والحديث تجد أن الثقافة كانت وقفاً على نسبة ضيئلة من الشعب، على حين أن الغالبية العظمى كانت تغيب في الأمية محرومة من أي ثقافة حقيقية. حتى عصر العمالقة المحدثين في مطلع القرن كانت الأمية تشكل ٩٠٪ من الشعب، فانظر ماذا يحدث اليوم في دنيانا الثقافية. فبفضل الإذاعة ــ المسموعة والمرئية ــ انفتحت أبواب الثقافة بغير حساب على

الملايين من النساء والرجال والأطفال ، فى الريف والمدن والمواقع النائية ، وبلا شروط ، فاستوى فى التلقى المتعلم والمثقف والأمى ، يستقبلون ليل نهار ماشئت من معارف نافعة وتوجيهات مفيدة وأنباء عن الوطن الأصغر والوطن الأكبر، وعالم الفضاء ، وألوان لا حصر لها من الدراما والفنون ، فأى مصلح فى القديم كان يحلم بنشر الثقافة على هذا المدى الخيالى ولو بعد مضى المئات من السنين ، وإنفاق الملايين من الجنيهات ؟! . فهل غاليت فى القول إذ قلت : إننا نعيش أعظم عصر ثقافى فى تاريخنا كله بمعنى من المعانى ؟! . ولكن لا خلاف على أن الخمود قد ران على الأدب أو فن الكلمة ، على جانب من الثقافة يمثل ذروتها فى العمق والجدية ، وأنه على هذه الناحية يجب أن تتركز وسائل العلاج والإحياء .

٢٢/١٢/١٩٨٣ .

أزمة الأدب:

أزمة الثقافة تكاد تنحصر فى الأدب ، ولهذه الأزمة أسباب عالمية وأخرى محلية . فعلى المستوى العالمى قد أثر التليفزيون وغيره من وسائل التعبير الحديثة فى القراءة فضيق من رقعتها ، وامتد إلينا هذا التأثير بصورة أشد لضعف مناعتنا فى مقاومته . ولكن ما زاد الطين بلة كما يقولون هى الأسباب المحلية . وعلى رأس تلك الأسباب حال التعليم فى ربع القرن الأخير ، وما حل من تبعات قصر الاستعداد عن ملاحقتها ، فامحت التربية الثقافية والذوقية فى المدارس ، التى تمثلت قديماً فى مدرس مؤهل مقتدر ، ومكتبة ، ومجلة ، ونشاط تمثيلى وموسيقى ، بالإضافة إلى الضعف المؤسف فى تحصيل اللغة العربية ، مما أخرج أجيالاً من الشباب لم تتشرب قلوبهم حب الكتاب والثقافة الرفيعة ، ثم كان ما كان مما ابتلينا به من حروب متلاحقة وفقدان للحرية ، وما انقض علينا بعد ذلك من غلاء وتضخم ، فحاصرنا القلق ،

وشغلتنا مطالب الحياة الأولية عن ضروراتها الروحية . هكذا استشرت الأزمة فى الجمهور نفسه برغم تعدد المواهب ووفرة الإنتاج كمًّا وكيفاً . هذا الجمهور ــ الضحية ــ هو المسئول عن كساد الكتاب الأدبى ، وتراجع المسرح الجاد ، وندرة الفيلم الجيد ، ولا ذنب للناشرين أو النقاد . ومن هنا نعلم أن الإصلاح على المدى طويل يجب أن يبدأ فى وزارة التربية والتعليم ، وفى الوزارات المسئولة عن نجاح التنمية الشاملة .

أما عن المدى القصير فعلينا أن نمحو العوائق التى تعترض تصدير الكتب ، وعلينا أن نيسر الكتاب بالمجان فى فروع دار الكتب وقصور الثقافة ونوادى الشباب ، وبهذه المناسبة أذكر بالشكر ما يقوم به المسئولون عن الثقافة من مبادرات مخلصة مثل تهيئة المكتبة الثقافية بأقل الأسعار ، والمعرض الدائم للكتب ، وسيارات الثقافة المتنقلة ، وإصدار مجلتى فصول وإبداع ، ومجلة ثالثة تصدر قريباً خاصة بالكتاب ، ولكن سيظل الإصلاح الجوهرى معتمداً على إعادة خلق الجمهور من جديد ، وتهيئة المناخ الحضارى الصالح له .

١٩٨٣/١٢/٢٩ .

الإذاعة والثقافـــة

كلمتى اليوم موجهة إلى الإذاعة بنوعيها ، وهدفها توضيح دورها فى خدمة الأدب ، لما له من أثر جوهرى فى الثقافة الرفيعة والفكر، وبالنظر لما يخيم على حياتنا الأدبية من خمول يجب أن نعمل على إنعاشه بما نملك من إرادة ونوايا طيبة . وقد اعترفت من قبل بفضل الإذاعة فى نشر الثقافة العامة بين الملايين ، ونوهت أيضاً بخدمتها للثقافة الرفيعة بما تقدم من مناقشات ، وروائع للمسرح العالمى ، والأفلام الممتازة ، وسائر البرامج الفنية ، غير أنى أطمع فى مزيد من الخدمات فى هذه الناحية ، ومن أجل ذلك أقترح ما يأتى :

١ ــ تقوية الإرسال فى البرنامج الثانى بحيث يصل إلى جميع البلاد العربية ، ولا بأس بالبدء بتغطية جميع أنحاء مصر.

٢ ــ تخصيص برنامج للغة العربية يشمل صحة النطق وتقديم

مختارات جميلة من تراثها شعراً ونثراً ونوادر، أسوة بما تقوم به الإذاعة المسموعة .

٣ـــ تخصيص ساعة أسبوعية لعرض الكتب الجديدة ، على أن يختار من بينها كتاب هام مما تستحسن الإذاعة نشر مضمونه فتعهد إلى ناقد بتحليله وتقديمه .

٤ ـــ إجراء مسابقة دورية للقراء ، تجرى على كتاب هام ، ثم يدعى المتسابقون للمناقشة أمام لجنة ، ويمنح الفائزون جوائز من كتب متنوعة .

٥ ـــ أن تشترك الكتب ضمن الجوائز التى تهديها الإذاعة فى مختلف المناسبات بحيث لا يقل نصيب الكتاب عن الربع فى كل جائزة .

وفى ذلك مافيه من إعلان مجانى عن الكتب ، وهو واجب ثقافى ، وإغراء بالقراءة ، وعرض لأفكار قيمة ، وتنشيط للتفكير الجاد الناقد بين الشباب ، وبه تضيف الإذاعة خدمة جديدة إلى خدماتها الكثيرة .

٥/١/١٩٨٤ .

شهداء القلم

ورد فى أخبار الصحف أن عدد الصحفيين الذين قُتلوا أثناء أدائهم لواجبهم المهنى قد بلغ أكثر من ٢٥٤ صحفيًّا على مدى الـ٣٢ عاماً الماضية، وأكثرهم فقدوا ضحايا قذائف عشوائية فى ميادين الحروب، والآخرون سقطوا ضحايا للتعصب الأعمى الذى يضيق بالحوار فيعمد إلى إطلاق النار، وعدد الضحايا من النوعين يشهد للمهنة بخطورة الدور الذى تقوم به فى الحضارة البشرية، كما يشهد بأن روح الفدائية يجب أن تندرج فى المؤهلات العقلية والأخلاقية التى يطالب رجالها بالتحلى بها. وليس القتلى هم الضحايا الوحيدين فى ميدان الصحافة، فتاريخها الطويل حافل بشتى البطولات لقادة رأى نفوا أو سجنوا جزاء لهم على الجهر بآراء رائدة، أو ذوداً عن قيم إنسانية رفيعة. ومنهم المهاجرون إلى بلاد الغربة بعد أن سدت فى وجوههم منافذ التعبير فى أوطانهم، ومنهم من لم يهاجر فاضطر إلى

الانزواء فى ركن غارقاً فى صمت إجبارىٍّ أو مجريا قلمه فيما لا يعنيه ، طاويا ضلوعه على أفكاره الحبيسة يكابد ألم الحرمان من ممارسة حقه الإنسانى وواجبه نحو مبدئه ووطنه. جميع أولئك أيضاً يجب أن يعدوا ضمن الضحايا ، لم يصرعهم الرصاص ، ولكن قهرهم التعصب والأنانية ، فما أعظمها من مهنة ، وما أكثر ضحاياها.

١٩٨٤/١/١٢.

أزمة الفكر

هل توجد أزمة فكر؟. ينكر بعض كبار المفكرين وجود هذه الأزمة، ويعتبرونها أزمة مزعومة لا أصل لها، ويؤيدون رأيهم قائلين: إنه ما من موضوع هام كالديمقراطية أو الأصالة والمعاصرة أو الشئون الاقتصادية «أو» إلا قد قتلناه تفكيراً وبحثاً فى شتى المؤسسات وعلى منابر الصحف. هكذا يقولون، ونسوا أن ذلك لم يتح لنا إلا فى السنوات الأخيرة، فضلا عن أن أزمة الفكر لا تعنى توقفه عن النشاط، إذ من يملك أن يمنع إنسانا من التفكير؟.

ولكن الحال تتضح عند إعلان هذا الفكر وما يلقاه من ردود فعل، كما أنها تتضح أيضاً من مدى ونوعية استجابة الجمهور المثقف له. وأظن أنه لا خلاف على أن أى فكر يخرج عن التقاليد المسلم بها على المستوى الرسمى أو الجماهيرى يقابل بالاتهام والكبح، وربما

المصادرة والمنع ، على حين أن غالبية المثقفين تشاهد ما يحدث بعين شبه مغمضة أو غير مبالية ، وكأن الأمر لا يعنيها من قريب أو بعيد . فماذا تكون أزمة الفكر إذا لم تكن هذه أزمته ؟ . وهى ثمرة سنين الإرهاب والاستبداد التى تحول فيها العقل من مفكر إلى مبرر، ومن ناقد إلى مداهن ، ومن قائد إلى تابع ، ومن مغامر إلى طالب سلامة بأى ثمن ، حتى ازدرى الناس الفكر والمفكرين ، وأعرضوا عن مساجلاتهم ، واحتقروا أساليبهم ، ثم شمل تيار اللامبالاة حتى الصادقين منهم ، ومن أجل ذلك ، فكلما خاضوا معركة أو تعرضوا لهجمة شرسة وجدوا أنفسهم وحيدين فى خلاء وصمت ، أو فريسة للناهبين مع الخلاء والصمت. إنها أزمة حقيقية ، والديمقراطية نفسها لا تكفى وحدها لعلاجها ، ولكن يلزمنا أيضاً الشجاعة والإصرار.

.١٩٨٤/١/١٩

عبقرية العلماء

يجب أن نعد شهر فبراير ١٩٨٤ من أسعد الأشهر فى تاريخنا الطويل، لايقل رونقاً وبهجة عن فبراير ١٩١٩ أو يوليو ١٩٥٢ أو أكتوبر ١٩٧٣، ففيه أقيم أول معرض لثلاثين اختراعاً مصرياً صميماً وفيه أعلن نبأ اكتشاف الدكتور محمد الفأر لعلاج مرض يعتبر من أخطر الأمراض التى تهدد البشر وهو السرطان.

ويدعونا ذلك لتذكر العباقرة من علمائنا مثل الدكتور على مشرفة ومن يشغلون مراكز علمية عالمية مرموقة كالدكتور الوكيل والباز ومجدى يعقوب وغيرهم ممن لا تحضرنى أسماؤهم. اليوم نستطيع أن نقول بكل فخار إن لنا عالماً مكتشفاً بكل ماتوحى به هذه الكلمة من مجد وعظمة، وبكل ماتعنيه من بذل وخدمة للبشرية. وإن أى تكريم نقدمه له فهو دون مايستحق، وأى إشادة بعمله فهى أقل كثيراً من عمله، ولن يقدره حق قدره إلا عشاق الحق والحقيقة وضحايا العذاب

والألم فى هذه الحياة. فلعل عصر العطاء فى مجال العلم قد بدأ بعد أن مر علينا نحو مائتى عام من التلقى والاقتباس والاستيعاب. ولا عيب فيما سلف، فالتعليم أول خطوات الاستنارة، والاقتباس منهج مشروع فى أول الطريق، وقد أمكننا ذلك من أن نستيقظ من نوم طويل، وأن نغير رؤيتنا نحو أنفسنا والعالم من حولنا، وأن ننشىء نهضة فى الزراعة والصناعة والإدارة. ولكن ظل الأساس مزعزعاً، والبناء مستنداً إلى الغير، والإحساس بالتبعية راسخاً.

ولن نستعيد توازننا ونطمئن إلى مستقبلنا حتى نفكر لأنفسنا كما يفكر الآخرون لنا، ونمضى فى العطاء والخلق والإبداع.

وعند ذاك ــ وعند ذاك فقط ــ تتحقق الثقة فى النفس، ويستقر البناء، ونضمن اطراد التقدم والتغلب على المشكلات المستعصية، ونسجل لأنفسنا مكاناً بين الأمم القائدة الخلاقة نتبادل معها المعلومات والمنافع.

علينا أن نكرم العلماء ونهيىء لهم المناخ الصالح للفكر والعمل، ونرفعهم إلى المنزلة التى يؤهلهم لها إبداعهم، فهم مصابيح الظلام وأعلام الحقيقة وأمل الغد.

٨/٣/١٩٨٤.

حول صراع الأجيال

من حق كل جيل جديد أن يتصدى بالنقد للأجيال السابقة ليعيد تقييمها على ضوء حاضره، وليمهد الأرض لرؤيته الجديدة، ويغضب كثيرون من أصحاب النوايا الطيبة على هذا الموقف، ويرمونه بالجحود، ويرون فيه تخريباً لمقدساتهم القومية ومفاخرهم الفكرية، ويتساءلون فى ريبة عن الدوافع وراء ذلك مما يوحى بالاتهام وسوء النية. وهذا النوع من الدفاع يحول الخصومة من معركة أدبية قد تثرى الفكر وتجلو حقائق جديدة إلى معركة وطنية مفتعلة لا تجنى من ورائها إلا المهاترات والأحقاد، وأقول مرة أخرى: إن من حق كل جيل جديد أن يعيد تقييم سابقيه، تمهيداً لبث رؤيته الجديدة ودفعاً للحركة الفكرية فى طريقها اللانهائى، وهذا التقييم الجديد مهما اشتد وعنف لا يستطيع أن يهدم عملاقاً إلا إذا كان عملاقاً من ورق، أو يمحو حقيقة إلاّ أن تكون حقيقة من ضباب وأوهام، وكلنا يذكر هجوم

مدرسة الديوان على شوقى، وكيف أسفر عن شق مجرى جديد للذوق الشعرى دون أن يقضى على عملقة شوقى ومكانته الفريدة فى الشعر العربى. ومن قبل تعرض المتنبى لأفظع مما تعرض له شوقى وبقى شاعر العربية فى جميع العصور. وإذن فالتقييم الجديد يمهد السبيل لرؤى جديدة دون أن ينال من قيمة حقيقية جديرة بالبقاء. ولو أننا بدلاً من الاتهام ناقشنا ما يقال بموضوعية وعلم لعاونّا على جلاء الحقائق، وشاركنا فى معركة فكرية من شأنها أن تثرى الفكر والفن فضلاً عن أن أسلوب الاتهام يشكل فى النهاية إرهاباً فكرياً يعتبر من شر أنواع الرقابة والقهر.

.١٩٨٤/٣/٢٩

قضية الفـــن

نحن لا نسمح لأنفسنا بالتعليق على حكم قضائى، أو نناقش قضية معروضة على القضاء، ولكننا لا نستطيع كذلك أن نعفى أنفسنا من الاهتمام الدائم بحرية الإبداع، والدور الذى يجب أن يضطلع به الفن فى المجتمع والحياة. ولعل ذلك مادعا اتحاد النقابات الفنية برئاسة الأستاذ سعد الدين وهبة إلى الاجتماع والتشاور إحساساً منه بمسئوليته الكبيرة حيال الفن والفنانين والمجتمع وتطويره أو تغييره. وقد أصدر الاتحاد بياناً أطلت علينا منه حقيقتان: الأولى تؤكد الاحترام الكامل للقضاء المصرى، والثقة التامة فى أحكامه، والثانية تتعلق بالتفكير الواجب فيما يضمن للفن عمله فى الخلق والإبداع وتغيير العالم إلى ما هو أفضل وأبقى. وقرأنا بعد ذلك فى جريدة الأحرار أن الاتحاد قرر رفع مذكرة إلى السيد رئيس الوزراء بمقترحات معينة عن حرية التعبير فى الأعمال الفنية.

هكذا قام اتحاد النقابات بواجبه كما ينبغى له، وكم وددت أن ألمس نشاطاً مماثلاً فى اتحاد الأدباء والمجلس الأعلى للثقافة، بل وكل هيئة أو فرد يهتم بالفكر والإبداع، وما يجب أن يتوفر لهما من حرية. ونحن نرجو أن يسفر النشاط عن دستور واضح لحرية الفن وإمكاناته فى نقد الحياة والمجتمع، يفصل بوضوح ما بين القذف والسب من ناحية، والنقد البنّاء لأى اعوجاج أيًّا كان موقعه أو مصدره من ناحية أخرى، وأن نضمن الحرية والأمان لأهل الفكر والفن، فلا بناء بغير نقد، ولا نقد بلا حرية، ولا حرية بلا ضمان، ولا قيمة لنقد أو حرية إذا حالت الامتيازات الطبقية أو الفئوية بين الاعوجاج والنقد.

ولنتذكر أننا نمضى فى انطلاقة ديمقراطية، وأن الديمقراطية ليست مجرد مجالس ومؤسسات ولكنها قبل ذلك أسلوب حوار وتفكير وتعامل، وتسليم من الجميع بأنه لا امتيازات لفرد أو فئة تعصمها من النقد البناء المستهدف للخير العام. ولعل ذلك يدعونا إلى توجيه الاهتمام إلى محاور أساسية، منها:

أولاً الرقابة: فإنه يبدو أنها لا تقوم بواجبها على الوجه المرضى للأداء الفنى ومستوى القيم الرفيعة التى وكل إليها مهمة المحافظة عليها. والرقابة يجب أن تكون رشيدة وبناءة ودرعاً للحرية والقيم فى آن، فلا يجوز أن تندرج ضمن الأعمال الروتينية، ولا يمكن أن تؤدى بغير وعى ثقافى واجتماعى وحس ذوقى وأخلاقى، بحيث لا تكون قيداً على حرية التعبير وجديته، وتكون فى الوقت نفسه حاجزاً يصد تيار العبث والإسفاف والاستهتار بالقيم والناس.

وطالما ناديت بوجوب عقد اجتماعات دورية بين جهاز الرقابة من ناحية، وأهل الفن والفكر والنقد من ناحية أخرى، تحت رعاية الوزير وإشرافه، للمناقشة وتبادل الرأى، من أجل الاتفاق دون عنت أو قهر على أسلوب العمل بما يحقق للفن رسالته من تقويم ومتعة، وما يصون قيم المجتمع البناء فى نضاله نحو حياة أفضل.

ثانياً: لابد من لقاء يجمع بين قادة النقابات الفنية والأدبية وبعض رجالها الممثلين لتياراتها الفنية المختلفة، وبين نخبة من رجال القانون، لقراءة المواد القانونية الخاصة بالإبداع وضوابطه، من أجل مزيد من الفهم والوضوح، وتبين الخط الفاصل بين النقد وبين ما يعتبر سبا أو قذفاً، على أن يكون هدف الجميع خير المجتمع وتطوره، ورفعة الفن ودعمه بالحرية والأمان.

ثالثاً: أن نشاط اتحاد النقابات يجب ألاّ يقتصر على ظروف الطوارىء، ولكن عليه أن يرتئى سياسة دائمة لدور إيجابى فى النشاط الفنى بصفة عامة، وعليه فى سبيل ذلك أن يشرك معه اتحاد الأدباء والمجلس الأعلى للثقافة، للاجتماع على فترات متباعدة بغرفة السينما وكبار المخرجين والمؤلفين والممثلين، بهدف الترشيد والتوجيه فى هذه الفترة العصيبة من تطورنا الاجتماعى، والعمل على التوفيق بين مخاطبة الجمهور الجديد وبين المحافظة ما أمكن على المبادىء الأولية التى لا يكون الفن فنا بدونها. ويا حبذا لو أنشأ اتحاد النقابات لجنة دائمة تكون بمثابة رقابة عائلية ودية، لتبادل الرأى أو قراءة بعض

النصوص ، وإبداء النصح من خلال التشاور، وبروح الزمالة ، وبعيداً عن التحكم أو الاستهانة بحرية الفنان ، فلعلها تقدم للفن فى ظروفنا الراهنة ما يجنبه التردى والتهالك والإسفاف ، ويخفف من شدة الحملات التى تنصب عليه هذه الأيام فى الصحف والمجالس .

أجل لعله آن لأهل الفن أنفسهم أن ينهضوا للدفاع عن فنهم العريق ، ومجتمعهم الذى يكافح من أجل البقاء والتقدم .

١٩٨٤/٤/١٢ .

أنظر إلى الواقع بغضب

فلنلق نظرة على ما نحوز من إمكانات ، فربما نسى الإنسان واقعه من شدة ألفته له وطول استمراره معه . نحن دول تتكلم لغة واحدة ، وتتنفس ثقافة واحدة ، وتستند إلى تاريخ واحد ، وهى تحظى بموقع وسط بين قارات العالم ، وتحتضن أراضى زراعية وأخرى صالحة للزراعة تكفى احتياجاتها وتفيض عنها بما يشبع بعض احتياجات الآخرين ، وتملك أكبر مخزون للطاقة ، وبسببه تتدفق عليها الأموال بغير حساب ، وبها من الأيدى العاملة ما يوفر لها قوة العمل المطلوبة ويزيد ، ولا تخلو من نهضة ذات مؤسسات علمية وصناعية وخبرات متنوعة ، ولا يعوزها المفكرون ، فهى تعرف أهدافها وتعرف السبيل إلى تحقيقها .

ولنلق الآن نظرة على واقعنا ، فماذا نرى ؟ نجد دولاً هى أبعد ما تكون عن الاتحاد فى أى صورة من صوره ، وأقرب ما تكون إلى التنافس والتخاصم ، بل والتناحر، وهى تعتمد فى أجل أمور الحياة

على الاستيراد ، فنستورد الغذاء والعلم والثقافة والسياسة ، وقليل من أموالها يستثمر فى داخلها ، وأكثره يستثمر لدى الآخرين ، ولا أقول الخصوم ، على حين تغرق كثرتها فى الديون وتلامس حافة الفقر، وليس أهون من العدوان على حقوقها والعبث بمقدراتها ، وبين هذا وذاك تمضى تنميتها الحضارية فى تعثر شديد نحو مستقبل محفوف بالقلق والمخاوف والأخطار، فانظر أى مقدمات سعيدة وأى نتائج تعسة، ونحن لا تنقصنا الرؤية الصحيحة ولا معرفة الهدف والوسيلة ، ولكن تعوزنا الإرادة الحقيقية فى الحياة والتحدى ، كما يلزمنا أن نتذكر أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

٥/٧/١٩٨٤ .

بين الثقافة والتنمية

يتصور كثيرون أن غاية ما يجنيه الإنسان من الثقافة هى متعة روحية واستنارة عقلية. ولو أن الأمر كذلك لحق علينا أن نعتبره من الأهداف الجوهرية التى تستحق العناية والرعاية، فالمتعة الروحية قيمة نادرة والاستنارة العقلية سعادة باهرة، ولن تقل إحداهما عن القيم المادية إن لم تزد. غير أن للثقافة أثراً آخر فى الحياة العملية نفسها نابعاً من مشاركتها فىَ بناء الشخصية الإنسانية وتحديد موقفها، وتكوين رؤيتها نحو الذات والناس والحياة بعامة، فمنها يهتدى الفرد إلى معنى حياته ورسالته فى هذا الوجود، وبناء عليه تتحدد العلاقة بينه وبين عمله، فلا يكون مجرد عمل لتحقيق الذات والربح والنجاح، ولكن أيضاً يتجه نحو تحقيق غاية يتجاوز بها الإنسان نفسه إلى المجتمع والآخرين فى نطاق قيم وضوابط، وبذلك يكتسب العمل ونواتجه معنى عامًّا وطنيًّا وإنسانيًّا، وبذلك ترتبط الثقافة بالحياة اليومية، وأهم ما يجرى فيها، وهو تنفيذ خطة التنمية الشاملة.

ولعل غياب هذه الحقيقة عن الذاكرة كان المسئول عن غياب الثقافة عن برامج الأحزاب فى أتون المعركة الانتخابية ، قلة الإشارة إليها فى البيانات الهامة التى تلقى فى المواقف التاريخية المتعددة . ثم جاءت ظروف غير سعيدة لتذكر بدور الثقافة فى الحياة ، ولكن لم يفطن أحد إلى الرابطة الخفية بينها من أمثلة ذلك سلبية الناخبين الذين أهملوا أداء واجبهم الانتخابى، فأساءوا إلى تجربة ديمقراطية ناجحة إساءة بالغة بغير وجه حق . ومنها ظاهرة الاغتراب والانطواء على الذات ، والانحصار فى الشئون الشخصية. تكلم كثيرون عن ذلك دون إشارة إلى علاقته بالثقافة .

أجل لا أنكر أن لتلك الظواهر أسباباً أخرى سياسية واقتصادية ، بل لا أنكر وجود فئة كاملة الثقافة ومغرقة فى السلبية ، ولكن سلبية الأغلبية ناشئة من سوء التربية الوطنية وقلة الوعى وضحالة الثقافة . وأهمية الثقافة تتعاظم فى العالم الثالث حيث تمس الحاجة إلى مواطن إيجابى فعال منتم ذى ضمير اجتماعى يقظ .. مواطن مفتوح الصدر للمشاركة والتضامن ، متأهب للتضحية ، مستعد للقيام بواجبه كاملاً فى تنمية بلاده كمنتج وكمستهلك معاً ، أمين فى أداء واجبه كموظف فى خدمة الجماهير.

وقد يتأخر خلق المناخ السياسى الذى يعمل على خلق هذا المواطن ، وقد تتعثر أسباب النجاح الاقتصادى التى تهيئ له الوجود والتكاثر، فليس من وسيلة جاهزة ومؤثرة وفعالة فى بنائه وتكوينه مثل

الثقافة التى تعنى توازناً فى العقل وحرارة فى القلب ونبلاً فى الوجدان .

الثقافة التى تصله بجذوره الأولى وبالعالم بشتى أجناسه والكون المحيط ، والواقع الراهن ، والغد المأمول . الثقافة التى تهضم وتستحيل دماً يجرى فى العقل والوجدان والإرادة ، وتشكل فى النهاية موقفاً ورؤية وسلوكاً .

وللدولة وسائلها فى نشر هذه الثقافة فى جميع مراحل التعليم ، وفى صحفها ومجلاتها القومية ، وفى أجهزتها الإعلامية الجبارة كالإذاعة والتليفزيون ، وبتشريعاتها المتحررة المتطورة ، ونحن لا ننسى عهد التحصيل فى مدارسنا القديمة ، ولا ننسى مناخها الثقافى الثرى الذى تجسد فى المكتبة المدرسية والمجلة وفرق التمثيل والموسيقى والشعر. لقد تمخض ذلك العهد فولد أجيالاً من عشاق الثقافة والوطن ، وجد فيه تطورنا الاجتماعى أبناء مخلصين وشباناً مجاهدين منتمين ، وها نحن ننادى بإصلاح التعليم ، وبربطه بأهداف المجتمع والتنمية ، أى بالعلم والتكنولوجيا والتخطيط ، ولكن العمل لا يتحقق بالعلم والتكنولوجيا وحدهما ، ولكن بالإنسان صاحب الخبرة والعمل ، ولا يجوز أن يعمل هذا الإنسان من خلال علم وخبرة وحدهما ، وبهدف النجاح وتحقيق الذات وحدهما ، ولكنه يجب أن يكون أولاً صاحب رؤية ورسالة يستهدفان خير الوطن والإنسانية ، ولن يبلغ هذه الدرجة الرفيعة من الإنسانية إلا بالثقافة .

٦/٧/١٩٨٤ .

دفاعاً عن القيم الرفيعة

لا تخلو حياة أمة من أحداث أو قيم عالية يمكن اعتبارها ــ لدى استعراض تاريخها ــ معالم لتطورها ومنطلقات لنهوضها ، ومن أمثلة ذلك إعلان دستور، أو اندلاع ثورة ، أو إنشاء أكاديمية الخ . والناظر فى تاريخنا يجد شواهد لذلك لا تخطئها العين، ولكنه يلاحظ أيضاً أنها لا تشق طريقها المتوقع نحو النمو والازدهار، ولكن كثيراً ما تتعثر مسيرتها ، أو تنتكس فتنقلب نتيجتها إلى النقيض . فمنذ مطلع القرن التاسع عشر انتبهنا إلى ما ينقص حضارتنا من مواكبة للعصر، فأرسلنا البعثات ، وأنشأنا المدارس ، وأحدثنا نهضة فى الزراعة والصناعة والإدارة والعسكرية .

وفى أوائل هذا القرن فزنا بدستور لا بأس به ، وكان من المتوقع أن نمضى فى التجربة الديمقراطية ولو بشىء من العناء ، ولكن المحاولة

أسفرت عن نتيجة شوهاء صرنا بها خبراء فى تزوير الانتخابات واصطناع حكومات من الطغاة المتعاونين مع العرش والاستعمار.

وفى لحظة سعيدة من لحظات الإيمان بالشعب قررنا أن التعليم حق للناس كالماء والهواء، ومضى على ذلك زمن يكفى لمحو الأمية ومد الأمة بأرفع مستويات الخبرة، وحتى اللحظة مازالت الامية تغشى أكثر من نصف الشعب، ومازلنا نعيد النظر لإصلاح التعليم ومناهجه.

وبعد، فما سر هذه المأساة؟ لقد اعتدنا أن نرجع أسباب الفشل إلى الاستعمار، ولا نكران لذلك بطبيعة الحال، ولكن لا يجوز أن نتجاهل حقيقة مرة، وهى أنه ما من مرة تصدى لنا الاستعمار إلا ووجد من بعضنا أعواناً له، فضلاً عن أننا تولينا إفساد قيم بأنفسنا ودون حاجة إلي الاستعمار.

وإذن فلنركز على عيوبنا ونقاط ضعفنا قبل كل شىء، وإنها لمعركة ضرورية.

١٢/٧/١٩٨٤.

السؤال الذى يجب أن نطرحه وأن نجد فى البحث عن إجابة له هو: كيف نحرك المواطن غير المنتمى لأداء واجبه نحو وطنه ؟! هذا ما يقتضيه الواقع، وما يطالبنا به من عمل لا يقبل التراخى أو التأجيل، وليس هذا يأساً من الانتماء أو تقليلاً من شأنه، ولكننا قد قلنا فيه ما يمكن أن يقال، شخصنا علله، واقترحنا سبل علاجه، وركزنا على دور الأسـرة والمدرسة والحزب والثقافة والإعلام فى ذلك، غير أنه يبدو أن علينا أن ننتظر وقتاً غير قصير حتى يتهيأ لنا جيل من المنتمين يعتمد عليه فى البناء والمواجهة، على حين أن مطالب الحياة الملحة لا تسمح بالانتظار دون إنجاز دائب متواصل، فكيف نحرك المواطن غير المنتمى لأداء واجبه نحو وطنه ؟. إذا كنا ننادى لدى المنتمى انتماءه ليتولى بدوره شحنه بالإرادة القوية وإرشاده إلى سواء السبيل، فعلينا أن ننادى لدى غير المنتمى أنانيته ومصلحته اللتين

يؤمن بهما وينطلق منها، علينا أن نعده للعمل كخير ما يكون الإعداد، وأن نضعه فى المكان المناسب الصالح لاستثمار ما تعلمه، وأن نهيىء له وسائل تحقيق الذات فى مناخ عادل، وأن نواليه بالحوافز والتشجيع، فإذا قصر بعد ذلك فى عمله أو أهمل واجباً من واجباته أو خان أمانة بين يديه فلا نتردد فى أن ننزل به العقاب الرادع الذى يجعل منه عبرة للمعتبر.

هذه هى المعاملة المناسبة لغير المنتمى، بل لعلها المعاملة الواجبة فى جميع الأحوال وبها يتحقق العدل للفرد والمجتمع وتتحقق الأهداف.

٩/٨/١٩٨٤.

الإذاعة والتليفزيون والثقافة

من واجب الإذاعة «مسموعة ومرئية» أن تعتبر نفسها مسئولة مسئولية خاصة عن الثقافة الوطنية في هذه الفترة من الزمن. إنها تبعة يلقيها عليها الواقع الحضاري الراهن بكل قوته وثقله وحضوره التي يتجاوز بها الحلم والأماني. لا أعني بذلك تيئيساً لأنصار الكلمة المقروءة، ولا تهويناً من دعوتهم إلى الثقافة الجادة، ولا استخفافاً بالمقولة بأن الكتاب هو مستودع الثقافة الرفيعة، ولا تقليلاً لجهود وزارة الثقافة ورجالها فيما يقدمون من خدمات في مجالات الكتاب والمسرح والسينما والموسيقى والثقافة الجماهيرية والآثار، بل وما نأمل أن تحدثه وزارة التربية في براجها من تجديدات تعيد إلى الثقافة مكانتها بين الناشئين، وإلى اللغة العربية أهميتها وتجويدها.

ولن نتخلى عن الأمل في وجود ثقافة متكاملة في بلادنا تقوم على قاعدة أساسية من القراء، وتمتد فروعها في الجموع العريضة من

جماهير الإذاعتين فى بناء متدرج من المعارف والقيم والمتع الرفيعة. ولكن حتى يتحقق لنا ما نريد، وحتى نعبر فترة ثقافية حرجة هى ثمرة مرة لحروب عديدة، وأزمات سياسية واقتصادية وتربوية، فعلى الإذاعة أن تعتبر نفسها مسئولة مسئولية خاصة عن الثقافة وبناء الموطن، وأن تتصدى بكل ما تملك من قوة وانتشار ووطنية لمحاربة السلبيات والإسفاف، وما يهدد العقل والذوق من آفات كثيرة. وإنى لأعلم علم اليقين بأن رسالتها متعددة الأبعاد والغايات، فهى صوت الدولة وفلسفتها، والمذيعة للأخبار الداخلية والخارجية، ومرشدة جميع الطبقات والفئات إلى أهدافها، والرابطة بين الماضى والحاضر والمستقبل إلخ إلخ، وأن الثقافة بمعناها الخاص ليست إلا غاية بين غايات من غاياتها، ولكننا نمر بمحنة تتطلب مضاعفة الجهد وصنع المستحيل للإسعاف العاجل والإنقاذ الملح. ولعلى لا أثقل على أحد إذا عرضت بعض الأفكار للتأمل، ومعذرة إذا كنت قد سبقت إليها، فالمهم عندى أن تنفذ إنْ وعدت حقًّا بخير.

من ذلك :

١ ـ أن نلغى الحد الفاصل بين ما يسمى عادة بالموضوعات الجادة وما يعرف بالموضوعات الترفيهية، فهذا الفصل ربما أغرانا بعرض الجاد فى جدية أكثر مما يحتمل العرض اعتماداً على أنه جاد، وربما أغرانا بعرض الترفيهى فى إطار من الابتذال بحجة أنه ترفيهى، على حين أن أى موضوع جاد قد يحظى بجانب ترفيهى بحسن

العرض، وبذلك تتحقق فائدة مزدوجة، ولست أغالى إذا قلت إن برامج مثل عالم الحيوان وعالم البحار والعلم والإيمان تحوى من الإمتاع أضعاف ما تحوى بعض المسلسلات، ولا أشك فى أن المثل الأعلى للنجاح يتحقق بموضوع جاد فى أسلوب عرض ترفيهى، ولعل ذلك يفسح المجال بغير حدود لتقديم تكوينات معرفية ذوقية ترفيهية فى آن واحد، يحتاج إليها شعبنا بتركيز وإلحاح واستمرار.

٢ـ العناية المخططة بعالم الكتب إعلاناً وعرضاً ونقداً ومناقشة، وعن طريق العروض الجماعية والمسابقات، وقد أسهبت فى ذلك فى مقال سابق مما يعفينا من التكرار.

٣ـ التفكير فى تخصيص برنامج ثقافى خاص فى التليفزيون على منوال البرنامج الثانى فى الإذاعة، إما بتخصيص قناة له أو توزيعه على القنوات المتاحة فى أوقات مختارة، تلقى فيه محاضرات مركزة وتدور به مناقشات جادة، وقد يعرض من حين لحين مناقشة بعض رسائل الدكتوراه، إلى عرض المختار من الموسيقى والمسرحيات والأفلام العالمية، أو حتى التجريبية، ولا يفوتنى هنا أن أكرر الرجاء بالعناية بالبرنامج الثانى الإذاعى من ناحية تقوية الإرسال، والإعلان الجيد عن برامجه.

وأرجو ألا يفهم من طرحى هذه الأفكار للمناقشة استهانة بالخدمات الثقافية الإذاعية والتليفزيونية التى تقدم على جميع المستويات وباستمرارية تستحق الإذاعة عليها تقدير الوطن وامتنان

عشاق الثقافة ، وقد سبق أن أعلنت رأيى فى ذلك صريحاً واضحاً ، ولكنى مقتنع أيضاً بأننا نمر بفترة حرجة تحتاج إلى مضاعفة الجهد والعطاء، وإلى أن يتذكر المسئولون عن الإذاعة بنوعيها أن الثقافة ــ وهى أساس البناء الإنسانى ــ أمانة بين أيديهم عليهم أن يحملوها بما عرف عنهم من وطنية وإخلاص ، وغيرة وحب للأمة والمواطنين .

١٩٨٤/٨/٢٣ .

الإعلام والطبقة الجديدة

انفتحت أبواب الرزق لجموع من شعبنا الكادح من فلاحين وعمال وحرفيين، فارتفعت دخولهم بدرجات لم تكن متوقعة، وأفلتوا بذلك من قبضة المعاناة التى أحكمت حول أعناق ذوى المرتبات الثابتة، وجاء ذلك نتيجة للانفتاح والهجرة، دون تدبير إصلاحى أو ثورى، بل لا ينجو حظهم من انتقاد وحنق وملاحظات تهكمية مرة. وفى رأيى أنه مهما اختلف الرأى فى الانفتاح والهجرة فلا يجوز أن يختلف حول هذه النتيجة من نتائجهما التى أغدقت الخير على جموع شعبية كادحة، فهى فى ذاتها خير خالص جدير بالتكفير عن سيئات كثيرة، وقد كان حلم الأحرار من أبناء جيلنا تحرير هذه الطبقة من الفقر والمرض والجهل، وها هى ذى تتحرر من الفقر، وربما من المرض أيضاً، أما الجهل فإن الصراع معه يتطلب جهاداً طويلاً وصبراً أطول. وشد ما يسوءنا اندفاع الطبقة الجديدة فى أحضان الاستهلاك بلا

حيطة، وتمادى البعض فى تعاطى المخدرات، بدافع الحرمان الطويل ونضوب الوعى وانعدام الإرشاد. إنهم يمثلون قوة من الشعب لا يستهان بها، وهم يتعاملون مع الحياة بتلقائية غريزية لا تعمل حساباً للغد، ولا تتسم بأى حذر من التغيرات المفاجئة والمحتملة. ولم ألمس من أجهزة الإعلام عناية خاصة بهذه الكتلة الشعبية برغم خدماتها لجميع الفئات من الشعب. إنها فى حاجة دائمة إلى التحذير من الاستهلاك غير المنضبط، والمخدرات، وتبصير باحتمالات الغد الاقتصادية، وتوجيه إلى ضرورة الادخار وتوفير القرش الأبيض لليوم غير الأبيض، إلى جانب برامج ثقافية شعبية تجمع بين التلقائية والقيم الأصيلة. ما أجدر أجهزة إعلامنا بالعناية بهذا الجانب الهام من حياتنا الجديدة، والتخطيط له، بما يهيىء لأصحابه حكمة وثقافة ويعود على المجتمع بالخير. لا يجوز أن نهملهم فى يسرهم كما أهملناهم قديماً فى عسرهم، ولعلهم اليوم فى حاجة إلى التوعية بأكثر مما كانوا بالأمس.

١٩٨٤/٩/٢٢.

حياتنـــا

تقاس قيمة الأمة الحقيقية بإنجازاتها فى مجالات العلم والفكر والثقافة والاقتصاد ، ولن يتاح لها إبداع شيء يذكر فى هذه المجالات إلا من خلال مجتمع إنسانى قائم على العدل والحرية واحترام حقوق الإنسان يتصف أفراده بالقوة الأخلاقية ، وتشرب القيم السامية والعقيدة الراسخة القادرة على بناء الشخصية الإنسانية الجديرة بهذا الاسم . ولعل الفارق الجوهرى بين أمة متأخرة وأخرى متقدمة ، هو أن الأولى تبدو سلبية فى هذه المجالات ، تعيش فيها عالة على الآخرين ، على حين أن الأخرى تستوى فى الحياة ، إيجابية ، معطاءة ، خلاقة ، بناءة فيها جميعاً ، لايهم بعد ذلك العدد أو المساحة أو التاريخ ، فقد تتفوق أمة فى حجم السويد على أمة فى حجم أندونيسا أو الهند . هذا هو الهدف السامى الأول لكل أمة تروم الحياة فى هذا العصر ، وهو هدف يجب ألا يغيب عن بالنا لحظة واحدة فى زحمة الأحداث ،

فقد تلهينا عنه مشكلات عارضة، نظن من شدة إلحاحها علينا أنها الهدف والغاية، وقد نحلم بمجد غابر نتوهم أنه يسندنا فى حاضر لا يبالى به، وقد نتطلع إلى زعامات وهمية تستنزف قوانا دون ثمرة حقيقية، ولا نكران أن المشكلات العارضة تقتضى حشد القوى والحل الحاسم، وأن المجد الغابر قوة يستضاء بها، وأن الزعامة قيمة إذا نبعت من جدارة صادقة، ولكن التخطيط للمستقبل على المدى الطويل على الأقل يجب أن يضع فى حسبانه واعتباره الهدف الأسمى، ويعمل له فى كل خطوة من خطوات التدبير والتغيير، ذاكراً دائماً وأبداً أنه إنما يعمل لبناء مجتمع فاضل وفرد كامل، ومن أجل مناخ صالح للخلق والإبداع، مفيداً من كل ما يتاح له من وسائل العصر، وقيم التراث، وتجارب الأمم، ودروس التاريخ. ليست الحياة لهواً، ولا بلاغة فارغة، ولا انتهازية عمياء، ولكنها علم بلا حدود، وعمل بلا هوادة، وتفكير بلا انقطاع، وجهاد لا يعرف الراحة، ولا اختيار لنا، فإما أن نكون أو لا نكون.

١١/١٠/١٩٨٤.

الحزب والثقافــة

للحزب دور في مجال الثقافة ما الثقافة فى عرضها العام إلا عناصر البناء الأساسية التى يتكون منها شخص الإنسان، هى نور الروح العلمية، وجمال الفكر والفن، وحكمة التقاليد والعادات الفردية والجماعية، من دينية واجتماعية، ورياضية وغذائية، وقد كان إهمالها فى برامج الأحزاب حين المعركة الانتخابية مأساة إن دلت على شىء فإنما تدل على أننا خضنا معركة مادية من أجل المادة ودون مبالاة بالقيم، كأنما هى ترف يمكن تأجيله. والثقافة ليست حكراً على وزارة أو هيئة ولكنها تكمن فى أعماق كل حزب مادام لا يتصور أن يوجد حزب بلا فلسفة أو رؤية للحياة، فعلى الحزب أن يترجم فلسفته فى صحفه من خلال الدعوة إلى مبادئه. بالإضافة إلى بياناته المباشرة ـــ بالنقد البناء للحياة الفكرية والفنية، ممثلة فى الكتاب والمسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون، بل عليه أن يضيف إلى نشاطه الأسبوعى فى صحفه

نشاطاً أعمق وأشمل فى سلسلة من الكتب والمجلات المتخصصة . وأود هنا أن أنوه بنشاط حزب التجمع لعنايته بالثقافة فى الأهالى كل أسبوع ، ولإصداره مجلة أدب ونقد ، بالإضافة إلى سلسلته من الكتب الجادة . وهو بذلك يدرك مغزى وجوده وأهداف رسالته ، وأصبح مصدر إشعاع سياسى وفكرى ، كما ينبغى لكل حزب جاد لايقتصر نشاطه على الوصول إلى السلطة ، ولكنه لا يتوانى عن إعادة خلق الشعب فى صميم روحه وفكره وسلوكه . وقديماً ــ قبل ثورة يوليو ــ كان الحزبان المهمان (الوفد والأحرار) مركزين للنهضة الفكرية والأدبية ، وتربت أجيال وأجيال من الشباب فى مجلتيهما البلاغ الأسبوعى والسياسة الأسبوعية ، وعلى صفحاتهما دارت أكبر المعارك الفكرية فى ذلك العصر . فعلى الحزب أن يكون حزباً بالمعنى الكامل فى عصر الفضاء والمعلومات .

٢٢/١١/١٩٨٤ .

الوزارة والمهرجـــان

عندما يقدم بلد على إقامة مهرجان عالمى للسينما فأول ما يتبادر إلى الذهن أن السينما فى هذا البلد قد بلغت درجة من التقدم كفن وصناعة تسوغ له الإقدام على هذا العمل ، لا يتصور أن يقوم المهرجان العالمى بوطن لا يوجد به استديو واحد جدير بهذا الاسم ، أو أن تكون دور عرضه كدور العرض عندنا كمًّا وكيفاً . أو أن يعد الإنتاج الجيد فيه على أصابع اليد الواحدة طوال الموسم كله . ولم يكن من بأس أن تقوم بالمهرجان جمعية غير رسمية ، مثل جمعية النقاد ضمن نشاطها وهى صاحبة فضل فى ذلك لاشك فيه ، وعلينا أن نذكر نجاحها فيه عاماً بعد عام ، وما حققته من فوائد علمية ودعائية وسياحية ، وهى بذلك تستحق التقدير والشكر، ولن يغمط فضلها أخطاء أو مجاملات تعتبر من صميم سلبياتنا الاجتماعية التى لا ينجو منها موقع من المواقع ، وقد تقرر نتيجة لذلك أن تشرف وزارة الثقافة واتحاد النقابات على العمل

حتى يتم فى صورة جديرة باسم مصر. ونحن نرحب بكل خطوة يكون هدفها الإصلاح والمزيد من الخير، أما أن تحتضن الوزارة الفكرة مستقبلاً لحد الاستئثار بها فتكون هى صاحبة المهرجان ، فالحق أنى لم أتحمس لذلك البتة ، والحق أيضاً أننى من أنصار ترتيب البيت قبل التطلع إلى الخارج، ولاشك أن وزارة الثقافة قد قدمت خدمات كثيرة وجليلة للثقافة فى مجالاتها المختلفة ، ولكن السينما بالذات مازالت فى حاجة إلى عناية خاصة ، ومن الأوفق أن نستثمر المتاح من المال فى دعم هياكلها الأساسية ومعاهدها ، والارتفاع بمستوى إنتاجها حتى إذا بلغت ولو الحد الأدنى المعقول من ذلك تطلعنا بجدارة إلى العالم والعالمية .

١٩٨٤/١١/٢٩.

الثقافة بين النقد والغضب

كثيراً ما نخص حياتنا الثقافية بالمناقشة والنقد، والنقد المر أحياناً، ولكن من منطلق الإخلاص للثقافة والوطن معاً، واستيحاء من الشجاعة فى مواجهة التحديات والحملة على أسباب الضعف والخذلان، أما أن يصرح شاعر عربى فى مجلة عربية بأنه اضطر إلى هجر مصر بعد أن أقفرت من الفكر والإبداع، وأنها خلت بعد الاربعينيات من كل جليل وجميل، فلم يبق فيها إلا عدوية، أما أن يقال هذا فهو نكتة تفتقد الخفة واستظراف يخلو من المودة، وتفكير تنعدم فيه الموضوعية، أجل، إن مصر تعانى من عواقب خمس حروب متعاقبة وهو مالم يقع لأمة، وهى تجاهد بكل ما تملك من عزيمة لتخرج من الخندق الذى سقطت فيه، وهى تدافع عن ذاتها وعن أمتها العربية أيضاً، وليس غريباً أن تنعكس آثار من ذلك فى مناخها الثقافى، ولكنها مازالت غنية بمفكريها وعلمائها وأدبائها وفنانيها. وهم

مجدون عاملون دائبون على نشر ثمار قرائحهم فى المجلات المتخصصة والصحف اليومية، يثرون العقول والوجدان فى الفلسفة والتاريخ والعلم والأدب والفن، ولولا الكثرة لاستشهدت بنماذج منهم ولكن ذلك يحتاج إلى مجلد لإحصائهم. وجميعهم من أقدم الأجيال إلى أحدثها لا يعتورهم ضعف أو تراخ فى الإنتاج، بالرغم من معاناة الجمهور وتوزعه بين شتى الهموم، ومنهم من يمد نشاطه إلى الخارج فتلمس أثر عقله وقلبه فى أعمق وأجمل ما تتمخض عنه المؤلفات فى بلاد الأشقاء العرب ومجلاتهم. فمصر ليست قفراً فى الفكر أو الإبداع، وهى تعتز بقادتها المثقفين كما يعتز جمهورها بعدوية وغيره من أمراء الترفيه الشعبى، فلعل الشاعر العربى قد هجر مصر لأسباب غير التى أعلنها، ولعله يراجع نفسه ويهدهد غضبه فيثوب إلى الحق والحقيقة.

١٩٨٥/١/١٠.

معرض للكتاب فى كل بيت

نحن على وشك أن نجد حلاً لمشكلة الكتاب من ناحيتى تكاليف الطباعة وتيسير التوزيع فى العالم العربى، وتبقى بعد ذلك مشكلة أخرى تتعلق بعرضه فى الداخل، وحصر أنواعه فى فروع المعرفة المختلفة تسهيلاً لمهمة الباحث، وجذباً للمطلعين من عشاق الثقافة، وإنى لأذكر بكل تقدير ما بذلت وزارة الثقافة وجهازها المختص بالكتاب من همة مشكورة فى هذا المجال، مثل مشروع الثقافة الجماهيرية، والمكتبة المتنقلة، والمعرض الدائم، والمعرض العام السنوى، فضلاً عن تخصيص مجلة للكتب والمراجع فى العالم العربى، ولكنى أذكر أيضاً قلة المكتبات العامة واختفاء بعضها عاماً بعد عام فى زحمة حياتنا الجديدة، وتعذر الاستعارة على المطلع العادى، بالإضافة إلى بُعد المكتبات الرسمية العامة عن وسط المدينة، وصعوبة المواصلات، من أجل ذلك أقترح تأليف مرجع عام للكتب المتاحة فى مصر، يفصل

أبوابها ، ويرتب فصولها حسب المعارف المختلفة ، بحيث يحوى كل باب مراجع المادة من التراث والعصر والمكتبات التى توجد بها وعنوانها ، على أن يكون جامعاً شاملاً ، ومنسقاً تنسيقاً علمياً مفيداً ، ومما ييسر التنفيذ أن لكل دار نشر مرجعاً بكتبها ، وأن الخطوة الباقية ستتركز فى ضم تلك المراجع فى مرجع كبير واحد بعد إعادة تنظيمه وتنسيقه على أن تشترك فى تكاليف طبعه جميع دور النشر من عربية وأجنبية ، وعلى أن يضاف إليه ملحق سنوى صغير بما يستجد فى عالم الكتب ، وسيكون هذا المرجع هو المعرض الدائم للكتاب فى مصر الذى يمكن أن يقتنيه فى بيته من يود ، ولعل الدكتور عز الدين اسماعيل يؤثر هذا الاقتراح باهتمام بما هو معهود فيه من إخلاص فى العمل وغيرة على الثقافة .

١٩٨٥/٢/٧ .

قضية الدكتور أحمد

انفجرت قضية الدكتور أحمد شفيق فجأة فاستحوذت على اهتمام الناس برغم انفجارها فى جو مشحون بالقضايا المتفجرة، ولعل استحواذها على الاهتمام دليل صحة ويقظة، لا مجرد انجذاب للإثارة أو جرى وراء إشاعات السوء، فهى قضية البحث العلمى فى وطن يستصرخ العلم والعلماء أن يهبوا لنجدته فى هذه الفترة الدقيقة من نموه وتطوره. ولعلك سمعت ما قيل من أنها مناورة ذكية لرجل يحب الدعاية والشهرة بأى وسيلة، أو أنها مظهر أليم من مظاهر المنافسة بين أهل المهنة الواحدة التى تغرى بعضهم بافتراس بعض، أو أنها معركة ظاهرة تخفى وراءها معركة ضارية تديرها شركات الدواء العالمية، والحق أنه لا يهمنى ما يقال مما قد يتفق مع الصدق أو يجافيه، أما الذى يهمنى حقاً ويهم كل مواطن يحب وطنه ويقدس العلم فهو البحث العلمى نفسه، وما يجب أن يحظى به من رعاية وتشجيع، وما يستحقه

العاملون فى حقله من تقدير بلا حدود أو حساب، وليس من شك فى أن الاعتراف بدواء جديد يقتضى خطوات علمية أخلاقية للتأكد من فعاليته وفوائده، تتم فى نطاق تقاليد ثابتة تحمى الناس من مغامرات التجارب وتضمن فى النهاية للباحث حقوقه كعالم مبتكر، ولااعتراض على مؤاخذة المقصر إذا قصر، ولكن ذلك كله لا يجوز أن يصرفنا عن الاهتمام بالموضوع الأساسى للقضية، أعنى الدواء الجديد، فيجب أن يطرح للفحص والتجريب فى جو علمى نقى بعيداً عن المهاترات ودون أدنى تأثر بالمخالفات التى قد تكون وقعت سهواً أو إهمالاً أو تسرعا. المخالفات قضية فرد، والدواء قضية البشرية جميعاً، ولا بأس من أن نعاقب بيد، وأن نفتح باب التاريخ العلمى باليد الأخرى فى نفس الوقت.. ومن يفعل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يفعل مثقال ذرة شراً يره.

٢١/٢/١٩٨٥.

في مقدمة الواجبات التى تؤديها الصحافة والإذاعة والتليفزيون اطلاع المواطن على الحقائق سواء فى وطنه أو فى العالم. وغاية ما تظفر به فى هذا المجال الثقة، بمعنى أن تجىء معلوماتها مطابقة للواقع والمنطق وانعكاساً أمينا للحوادث فى جريانها الراهن أو المستقبلى. وإن ثبت للمواطن تهاون هذه الأجهزة فى البلاغ أو تحيزها فيه أيقن أنها صوت رأى معين أو رؤية خاصة، وأنها تروم الاستحواذ على عقله لا إنارته، فينزع منها ثقته، ويلتمس الحقيقة لدى مصادر أخرى أجنبية يندر فيها الحياد فيتخبط بين الأطراف المتناقضة ثم يسقط فى هاوية الشائعات. ونحن فى زمن يطلق عليه أحياناً زمن المعلومات المتفجرة. فالجهل فيه بما يحدث ذنب لا يغتفر. ولاشك أن لكل أمة سياستها ورؤيتها. وأن من حقها الدعاية لها والدفاع عنها، ولكن ذلك لا يعنى فرض حصار الجهل حول المواطن ولا تنويمه أو تخديره، مما

يتضمن الاستهانة بعقله ، والاحتقار لشأنه ، والاستبداد بفكره ، مهما ادعينا بعد ذلك من ديمقراطية وحرية ، بالإضافة إلى أن الحقائق لا يمكن أن (تخفى) إلى الأبد فى عصرنا ، عصر المعلومات والاتصالات ، والأصوب والاشرف فى الوقت نفسه أن تذاع الحقيقة كما يراها أصحابها ثم نعلق عليها بما يدعم رؤيتنا الخاصة ، وألا نخفى وضعاً أو حالة بغية التخفيف أو بثًّا لأمل كاذب ، فالأفضل أن نربى الناس على مواجهة الحقائق والتوثب لمواجهتها . وقد مضى زمن ونحن لا نعلم عن مواقف المختلفين معنا إلا أنهم سفاكو دماء وعملاء وإرهابيون ، وقد تكون لهم إلى جانب ذلك رؤية وسياسة ، بل قد لا يختلفون معنا فى بعض الأهداف وإن اختلفت الوسائل . ولم أذهب بعيداً ونحن نشاهد على مسرح وطننا تحركات درامية غير مصاحبة بأى تفسير، فيذهب رجال ويجىء رجال وكأن الأمر لا يعنينا ولا علاقة له بنا . اللهم إنى أعيذ الديمقراطية الحقة من أى مساس بالحق والحقيقة .

١٩٨٥/٣/١٤ .

الفن والرقابة

الحرية للفن كالشمس للكائن الحى، فالفن يولد وينمو ويترعرع تحت شعاعها المنير، ويذوى ويتضاءل ويموت فى ظلمات القهر والإذعان والتسلط. وهو تعبير وإبداع ومغامرة، فرشت الطبيعة طريقه بالصعوبات والتحديات الذاتية التى تنشأ أساساً من حاجته إلى موهبة مبدعة ولغة خاصة حساسة وما يتطلبه من إلهام وجلد وصبر، فكيف نضيف إلى ذلك قوى مضادة غريبة عن مضمونه ووظيفته، تهدده بالمحاذير وتلوح له بالقوة وتقص أجنحته، وكثيراً ما يقع ذلك دفاعاً عن تقاليد بالية أو أوهام خادعة، أو محاولة لإخضاعه للنفاق والجمود. هممت بأن أكون رافضاً للرقابة فى كافة أشكالها، باعتبارها شرًّا خالصاً إلا فى أحوال نادرة كأيام الحروب والثورات، ولكننى عدلت عن هذا الموقف كارهاً لما عهدته من أمراض تصيب الحرية أحياناً، من أعراضها عدم المبالاة بالمسئولية، أو إطلاق العنان لمخزون الشر فى

الطبيعة البشرية ، هذه الأمراض تنتقل عدواها بالتبعية إلى الفن فيوظف لغير ما خلق له ، ويصبح قوة مدمرة للقيم الإنسانية يعيق انطلاقها نحو المثل الأعلى ، وبخاصة إذا انتشر ذلك بين جماهير تغلب عليها الأمية وتنضب ينابيع الثقافة العامة . من أجل ذلك أقنعت نفسى بالرقابة فى مجال الفنون الجماهيرية ، كالسينما والمسرح والإذاعة والتليفزيون وغيرها مما تخلقه الحضارة جيلاً بعد جيل ، واعتذرت عن موقفى أمام نفسى وأمام الآخرين بأن ما أقصده بالرقابة إنما هو الرقابة الرشيدة الواعية . فما هى الرقابة الرشيدة الواعية ؟ هى الرقابة التى تشعر بقوة انتمائها الإنسانى للفن ، وتكن له الحب والتقدير ، وتؤمن به كنشاط سام ، ووظيفة اجتماعية ضرورية ، ورسالة إنسانية رفيعة المستوى والهدف ، إذ أن شر ما تبتلى به الرقابة أن تتصور أنها جنس مغاير للفن ، أو قوة مضادة له ، أو سلطة مهيمنة عليه ، مما يغرى بالتوجس وسوء الظن ، ثم بالعداوة والبغضاء .

وهى الرقابة التى تؤمن بأن الفن خير فى جوهره وأهدافه ، وأن الأصل فيه الإباحة ، وله الحق كله فى الوصول إلى وجدان الفرد والجماعة ، ينوره ويمتعه .

وهى الرقابة التى تقوم خدمتها على حماية الفن والمجتمع معاً لا المجتمع وحده ، باعتبار أن انحراف الفن الذى يهدد قيماً اجتماعية أو إنسانية غالباً ما ينشأ بدوافع تجارية استجلاباً للاستجابة والنجاح بأرخص السبل ، وتملقا للغرائز والشهوات والأهواء والتعصبية الخبيثة ، فهذا الانحراف التجارى يصيب أول ما يصيب الفن نفسه ، ويشوب

جماله وصفاءه، فيعرض الجريمة للإثارة لا للدرس، والجنس للشهوة لا للتربية والاستنارة، فالاعتراض هنا يكون حماية للفن مثلما هو حماية للمجتمع والمواطن، وتكون الرقابة فى خدمة الفن مثلما هى فى السلطة الواعية المخلصة، ولعل الدليل الحقيقى الذى تمتحن به الرقابة قرارها هو أن تجده فى صالح الفن مثلما هو فى صالح القيم والناس.

وكلما اقتصرت بنود الرقابة على مبادىء عامة مركزة ومحددة أتاحت للرقيب مصباحاً هاديا يجول به دون قيود تثقل فكره وتعرقل حركته، وكلما كثرت وتعددت وتقصت أربكته وأغرقته فى التفاصيل والمتغيرات التى يحسن ألا تسجل فى النصوص فتكون عرضة للتجمد والتأخر عن الزمن الجارى. يجب أن يشعر الرقيب بحرية الحركة والقدرة على التصرف ليتابع المجتمع فى نبضه ومساره، وأن يكون مجتهداً محرراً من الروتين والخوف والعبودية، وأقبح ما يصيبه من آفة أن يفوته انطلاقة العصر، أو اندفاع التطور، وهو متجمد فى تفاصيل محنطة جاوزها الزمن وأزرى بها الدهر، فلنلخص المبادىء فى جمل قليلة ونترك الباقى للرقيب باعتباره وعياً وذوقاً وحساسية، ولذلك فمن المفيد جدًّا أن تتم لقاءات دورية بين القائمين على الرقابة وبين أهل الفن والنقد والفكر لتبادل الرأى ومناقشة القضايا المتجددة كى تظل الرقابة حارساً أمينا وسراجاً منيراً لا كارثة على الفن والحياة.

وقد يرى البعض أن تمتد الرقابة إلى المستوى الفنى أيضاً محاولة لخلق مناخ صالح تولد فيه الآثار الفنية الجيدة. والفن الجيد لا يوجد

فى ظل توجيه وإن اتصف بالرشد وحسن القصد. والفن ضرب من النشاط تختلف فيه الأحكام وتتضارب الأذواق، ولا يمكن أن يستقر على رأى أو رؤية و ولن يسفر الاجتهاد فى ذلك إلا عن خلافات وإهانات وإثارات أليمة للمشاعر، بالإضافة إلى هيمنة غير مشروعة على المبدعين، وقد تتسرب إليها الأهواء والمجاملات فتشكل طعنات جديدة تضاف إلى أخوات لها سبق أن انهالت على الإبداع والمبدعين حتى أوشكت أن تكتم أنفاس الفن فى فترة من الفترات. إن للارتقاء بالفن سبلاً أخرى، نعرفها جيداً ونمارسها أحياناً، فى مقدمتها تشجيع الأعمال الجيدة أدبيًّا ومادياً، وعرض النجاذج الطيبة فى التليفزيون، مع ترك الأعمال الأخرى للنقد والجمهور والزمن.

وبعد فإن الرقابة ضرورة طوارىء، وعلينا أن نتعامل معها بحذر وحكمة.

● أدب.. وسينمـــا:

هناك فارق كبير بين لغة الأدب وبين لغة الكاميرا التى تترجم الأعمال الأدبية إلى مشاهد تروى أحداث القصة.. فالأدب المقروء لا يحتاج إلا لشخص واحد، وهو «الكاتب».. وهذا الشخص يتمتع بكامل الحرية ويستطيع أن ينشر كل ما يقرر نشره، أما الأدب السينمائى فهو جزء من عملية الإنتاج التى يشترك فيها مجموعة كبيرة.

وإذا كانت السينما تؤثر على الأدب فتأثيرها يكون من ناحية الإيقاع السريع والتركيز.. وهو تأثير هام للسينما فى الأدب.. لكن

كل ما يهمنى ألاّ يتغير الموضوع نفسه الذى تدور حوله القصة.. لا أكتب وعينى على السينما.. فالأدب لابد وأن يكون الأدب.. وعموماً فإن الشاشة الكبيرة قدمت العديد من أعمالى بصورة لائقة، منها «الثلاثية».. و«بداية ونهاية».. «وثرثرة فوق النيل».. «والكرنك».

ولكن.. «الثلاثية» من أحب أعمالى إلى نفسى.. وقبل كتابتها قرأت الكثير فى «علم القصة» التى من أنواعها القصة التى تعرض جيل الأجداد والآباء والأحفاد.. فنبتت فى ذهنى فكرة كتابة رواية من هذا النوع أقدم فيها صورة لمصر.. وقد استمر الإعداد لذلك العمل حوالى سنة تقريباً قرأت خلالها بعض الروايات العالمية من هذا النوع، مثل «الحرب والسلام».. «والفور سانير ساجا».. ورواية «اوفان مان».. ثم قمت بعمل أرشيف لكل شخصية حتى أنسى الملامح والبصمات.. وانتهيت تماماً من كتابتها بعد ثلاث سنوات من الإعداد.

وإلى جانب كتب الأدب والفن.. أقرأ كتباً علمية.. خصوصاً الكتب التى تُهدى إلىّ من أصدقائى.. كما أحرص على قراءة أعمال الأدباء الشبان لأطلع على كتاباتهم..

الأدب العربى:

إنّ اطلاعى على الأدب خارج مصر قليل للأسف بحكم الظروف وعدم وجود سوق مشتركة بيننا وبينهم، وذلك بالنسبة لكل الدول

العربية .. فكتبهم لا تأتى إلينا هنا .. مع أن هناك من لا تقل أعمالهم عن الآداب العالمية التى نقرؤها ، منهم الطيب صالح ، وحنامينا ، وسباعى عثمان ، ومحمد علوان .

إن الجيل الجديد من الكتاب يقع على عاتقهم العبء الأكبر من مشكلة النهوض بأدبنا العربى لكى يصبح أدبا عالميًّا .. وفى سبيل ذلك فلابد أن يكون أكثر إخلاصاً مع الذات .. فالفن الصحيح والجيد هو الذى ينبع من الداخل .. بالإضافة إلى هذا العمق فينقصنا الشمول والترجمة الصحيحة والدعاية .. ويوم أن نحقق هذا فيمكننا القول عندئذ أننا قدمنا أدباً عربيًّا صحيحاً إلى العالم .

وأعتقد أن كل جيل له إبداعاته الفنية الرائعة .. وذلك حتى الجيل الرابع والخامس .. فنحن ليست عندنا أزمة إنتاج .. فالإنتاج باهر وممتع ومتنوع .. إنما الأزمة فى القراءة والقارىء . وأرى أن ازدهار الحياة الأدبية والثقافية مرهون دائماً بتجدد الحياة وتطورها بقوة تدفع الأعمال الإبداعية والمبدعين إلى التطور والتجديد ..

تتغير آمال الإنسان فى كل مرحلة من مراحل عمره .. ففى مطلع حياتى أنا وأبناء جيلى كانت قضية الاستقلال والحرية هى شغلنا الشاغل .

وبعد ذلك كان يشغلنى ومازال الرقى الحضارى ، وأن نستطيع أن نرتفع بأدبنا العربى إلى العالمية .. وأنتظر أن يأتى اليوم الذى يلفت

فيه هذا الأدب أنظار النقاد فى جميع أنحاء العالم بالدراسة والتعليق .. وأعتقد أن الإنسان حينما يشعر بالنقص أو بالحزن فهو يبدع أكثر.

طه حسين .. والغرب:

هناك آراء تقول إن الدكتور طه حسين كان مقلداً ومروجاً لبعض آراء المستشرقين .. وإن ثقافته الغربية ظهرت واضحة فى أعماله ، وإنه اتبع أسلوب ديكارت ، وهو الشك فى كل شىء حتى تثبت صحته .. فحتى لو ثبت ذلك فليس بالعيب .. إن طه حسين نقل إلينا الثقافة الغربية وانتصر للعقل .. وتأثيره فينا كرجل شرقى ومن خلال إسلامياته وأعماله الأدبية والوطنية بلغ مبلغاً عظيماً .. وكل مفكر لابد أن يتأثر بالسابقين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

إن طه حسين أراد لنا أن نضع لأنفسنا صيغة فيها الماضى والحاضر معاً .. ولقد تمثل هذا الدمج فى شخصه .. فهو الشيخ الأزهرى إذا شئنا ، وهو أيضاً الأوربى .. وهنا تكمن عظمته ..

الحملة ضد الأفغانى:

كان جمال الدين الأفغانى مفكراً عظيماً وباعثاً للنهضة الفكرية فى كل مكان حل فيه .. فى مصر .. وإيران .. والهند .. وكل البلاد التى زارها نفخ فيها الروح لتعيد إلى الإسلام مجده العظيم .. وكان هدفه دائماً هو إيقاظ الشرق من سباته ، والعمل على توحيده ، وطرد الأجنبى المستغل منه .. ويكفى أن يكون من تلامذته من كان لهم دور عظيم فى حياتنا الدينية والسياسية والاجتماعية.

وعن الحملة التى أثارها ضده الدكتور لويس عوض ففى رأيى كان التفكير الموضوعى فيها قليلاً.. فلا بأس من أن يقيم كل جيل الأجيال السابقة عليه ويعيد تقييمها، وقد يقسو فى ذلك أحياناً فى سبيل شق الطريق لرؤيته الجديدة، فكان لابد من مناقشة ما قيل والرد عليه بطريقة أكثر موضوعية وعلمية مما كانت عليه.

١٩٨٥/٣/١٥.

الجريمة بين العقاب والعلاج

لم تفجر جريمة مافجرته جريمة الاغتصاب من إثارة وبلبلة واستهجان. تجمعت فى بؤرتها أبغض عناصر الانحراف إلى قلوب المصريين كهتك العرض والاعتداء على الشرف، فضلا عن الاستهانة بإنسانية الإنسان فى أعز مايملك الإنسان.

وغضب الرأى العام وتوثب كل بيت للدفاع، وطالب بالردع الحاسم دون تردد أو رحمة، وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على حيوية التراث الأخلاقى الرابض فى أعماقنا، حتى فى أحفل عصورنا بالانحراف واللامبالاة. وشد ما أتمنى أن يكون لنا نفس الموقف الكاسر تجاه كل انحراف، وخاصة الانحرافات التى تنهال عواقبها الوخيمة على المجتمع كله، حاضره ومستقبله، ونموه وسلامته، وتقدمه وازدهاره، لا أفرق فى ذلك بين انحراف اقتصادى أو سياسى أو ثقافى أو عقلى.

كما أرجو أن نقف من الجريمة الراهنة عند هذا الحد، ليست هى مجرد مطاردة فقبض فمحاكمة فعقاب فتشديد حراسة ثم ينصرف كل إلى حال سبيله.

علينا أن نجول بأبصارنا فى تلافيف حياتنا المعقدة لنشكف عما يكمن فى زواياها من ضعف وأخطاء، وأن نشحذ الهمة فى تنفيذ الخطة ومطاردة الفساد وتقوية أسس الديمقراطية والعدل. علينا أن نحسن سياستنا مع الشباب وتربيته وتأهيله لمواجهة التحديات والإحباطات، وإنها لمهمة شاملة، على الدولة والأحزاب أن تسهم فيها بكل ما تملك من قدرة وحكمة وقدوة، وثمة مشكلة لا يجوز أن نسكت عن الخوض فيها وهى الرهبنة الإجبارية التى تفرض على الشباب حتى يشارف حدود الكهولة لأسباب متعددة، كطول فترة التعليم فى العصر الحديث، وتعذر الزواج المبكر، أو حتى فى سن معقولة بسبب الأزمة الأقتصادية وأزمة المساكن.

أجل يمكن أن نملأ الفراغ بالعبادة والثقافة والرياضة، ولكن ستظل المشكلة متربصة تدعو المخلصين إلى حل رشيد، وفى مقدمتهم علماء الدين بوصفهم أول مسئولين عن طهارة الأنفس ونقاء السلوك. ولا خاب من استرشد بدينه ورأيه.

٢١/٣/١٩٩٠٥.

الجريمة الجنونية

لو كانت جريمة قتل الوالدين الأولى من نوعها فى تاريخنا ، وحتى لو كانت أيضاً الأخيرة ، فهى خليقة بأن تحرق القلوب وتصدع الضمائر. وما إن تذكر فى مكان إلا وتنهال تهمة الجنون على الابن القاتل ، كأن الجنون وحده هو الذى يفسر الواقعة تفسيراً تطمئن به القلوب ، برغم ما قيل عن تمالكه لقواه العقلية واتزانه ، وما قيل عن فقدانه لإيمانه الدينى ، ولعل جميع التفسيرات الممكنة تعجز عن تبرير الجريمة البشعة ، فلا يبررها أى سوء ظن بالطبيعة البشرية ، ولا قتل الإنسان لأخيه عند بدء التاريخ البشرى ، ولا ما تقرره بعض أساطير علم النفس الحديث من عقد لا شعورية تضمر الكراهية والموت للأب ، ولا ما يقال عن سيادة القيم المادية وانحسار القيم الروحية ، ولا ما يموج به المجتمع من أزمات اقتصادية وأخلاقية وسياسية ، ولا ما أصاب الرابطة الأسرية من تفكك واغتراب ، أو ما اعترى كثيرين من عدم انتماء وغياب للأهداف الكبرى ، وفقدان للإيمان والأمل .

كثيرون تحل بهم آفة أو أكثر من هذه الآفات ، وقد ينحرفون لذلك أو يأثمون ، بل قد ينتحرون ، ولكنهم لا يقترفون هذه الجريمة الشنعاء ، لعل مرتكبها قد وقع فريسة للاكتئاب ، وأمده الاكتئاب بمنطق شاذ غريب ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، فنفذ وسوسته بقلب بارد جفت به ينابيع الإنسانية .

فلننظر إلى الجريمة كحادثة غير قابلة للتكرار ، ولا نضخمها بالتأويلات الخاطئة والتوقعات التى لا تقوم على أساس .

أجل ، إن حياتنا حافلة بإحباطات لا حصر لها ، ولكنها لا تفضى إلى هذه الجريمة ولا تبررها . وحذار أن نصب غضبا على الوجودية أو غيرها من الفلسفات ، ففى الوجودية من يدعون إلى الإيمان ، كما أن فيها من يدعون إلى الإلحاد ، ولم يقتل أحد من أتباعها والديه .

لا يجوز أن نتهم الفلسفة كما نتهم التليفزيون والسينما كلما ضاقت بنا الحيل ، أو خفنا مواجهة السلبيات الحقيقية الكامنة وراء الجرائم والانحرافات . إن الفلسفة والفن والتليفزيون والسينما وكافة سلبيات المجتمع بريئة من هذه الجريمة الجنونية .

١٩٨٥/٤/٤ .

عودة إلى اللغة

تثار من جديد مشكلة اللغة العربية وما تتعرض له من ضعف واستهانة فى ذلك، فاللغة هى وعاء الفكر، ووسيلة الاتصال والتفاهم، ورابطة القومية، فضلاً عن تلاحمها بالدين، ولا يمكن أن يذكر ما حل بها دون أن يترك فى الفؤاد أسى عميقاً. وقد يفسر ذلك بأنه عرض من أعراض متشابكة لداء شامل هو ما يكابده المجتمع من أزمة فى هذه الفترة من تطوره، كما قرر ذلك الدكتور زكى نجيب محمود، وهو محق فى رأيه، ولكننا لا نستطيع أن ننتظر دون أى فعل حتى يبرأ المجتمع من دائه، فتتم له الصحة فى الزراعة والصناعة والعلم والثقافة واللغة، فكل عرض على حدة له علاج قد ينجح فيه الإسعاف، كما قد ينتشر وباء فى بلد وينقض على الكثرة من أهله فلا يمنع ذلك من أن يحظى كل فرد بالرعاية المناسبة له التى لا تتناقض مع المقاومة العامة للوباء، من هذا المنطلق نطرح ما لدينا من اقتراحات، لعلها تعود على لغتنا بشىء من الصحة والعافية:

وددت أن أبدأ باقتراح يحد من تكدس الفصول المدرسية بالتلاميذ، ولكنني وجدت أنني سأضطر إلى الانتظار حتى نتغلب على الأزمة العامة فعدلت عنه إلى حين، ولكن إعداد المدرس الكفء ليس بالمطلب المستحيل، خاصة وأننا نملك فى هذا المجال تجربة ماضية ناجحة، تتمثل فى خريجى دار العلوم والأزهر القدامى. كان منهم مدرسونا في المرحلتين الابتدائية والثانوية، وكنا لشدة انبهارنا بهم نظنهم معصومين من الخطأ فى اللغة وآدابها، وكانوا على دراية بالتعليم والتربية فائقة، وحب للغة لامزيد عليه، وثراء فى الاستشهاد بأجمل ما فى الشعر والنثر العربى، فعشقنا على أيديهم اللغة وتراثها، حتى النحو على صعوبته تفاهمنا معه وأحرزنا فيه مستوى معقولاً. كيف كانوا يعدون أولئك المدرسين؟، لا أظن أن الأمر يحتاج إلى خبرة أجنبية أو بعثات أو عملة صعبة. ولنسلم من بادىء الأمر بأن المدرس الكفء هو الأساس الذى يقوم عليه أى تعليم ناجح. وكان فى معاونة المدرس مكتبة المدرسة ومجلتها، وكان من حسن حظنا فى صبانا أن أفدنا من ذلك كله، فقرأنا فى أوقات الفراغ كتباً قيمة فى الأدب والعلم والاختراعات الحديثة، ونشرنا أول كلمة تنشر لنا فى مجلة المدرسة، وقد يكون من الترف بعد ذلك أن أشير إلى جمعيات التمثيل والخطابة والأناشيد.

وننتقل إلى النحو وقواعده، ولنسلم بصعوبته وتعقيده، وبأن أسرار جماله وقوته التعبيرية لا تتيسر إلا بعد معاناة طويلة قد لا تتسع لها حياة الطالب اليوم المطالب باستيعاب العشرات من المواد العلمية

والرياضية والأدبية، فلماذا لا نتقدم خطوة من ناحيتنا بتيسيره وتبسيطه ؟. هذه الخطوة أصبحت ضرورة ملحة واجبة الأداء، وهى لها أنصار من رجال لا يرتقى الشك إلى إخلاصهم للغة والدين، وهيهات أن تشكل عقبة لقارئى القرآن الكريم فضلاً عن أن القارىء العادى يقرأ القرآن عادة مستعيناً بهوامش التفسير، وعليه فيجب أن تحظى لغتنا بما حظيت به لغات العالم الحية من تطور وتقدم وتيسير ومسايرة للزمن والحضارة فى مسارهما الذى لا يتوقف.

وإذا تم لنا ذلك ــ وحتى إذا لم يتم ــ فعلينا أن نغير طريقة تعليم اللغة من أساسها، وخاصة فى الأدب والقراءة. إن دراسة الأدب تقوم على دراسة النصوص المختارة من الشعر والنثر، فيحسن أن نبدأ بالسهل العذب المخالط لأغراض حياتنا، وأن نتدرج منه مع التقدم فى المراحل التعليمية إلى الأصعب حتى نصل إلى العصر الجاهلى. وأقترح أن تعتمد الدراسة على الاختيار الحر، وأن تتحرر من الامتحان، بمعنى أن يوزع على التلاميذ كتاب للشعر مثلاً، يختار منه الطالب العدد المقرر عليه بنفسه، وفى حصة الأدب يقرأ كل طالب بعضاً مما اختار ويشرحه مع ذكر الأسباب التى من أجلها فضّله مراعين سنة ودرجة ثقافته، وبانتهاء الدراسة على هذا النحو يعتبر الطالب ناجحاً فى الأدب بلا امتحان لاحق.

ونتبع فى القراءة أسلوباً جديداً أيضاً فيقرأ الطلاب الكتاب أو الرواية فصلاً فصلاً فى منازلهم، وفى حصة القراءة يلخصون شفويا وبلغة فصحى ــ ما أمكن ــ ما استوعبوه، ويختم العام بأن يكتب كل

طالب خلاصة للكتاب من إنشائه مع اشتراط استعمال الكلمات المشروحة فى الهامش، وبذلك يعتبر ناجحاً فى القراءة. ونفيد من ذلك أمرين جوهريين:

أولاً: أن نفصل بين الأدب والقراءة من ناحية، وبين جو الامتحان البغيض من ناحية أخرى.

ثانياً: أن ندرب التلميذ على النقد والتذوق وحب القراءة، ولا بأس بعد ذلك أن تخصص حصة أسبوعية للقراءة الحرة تدور حولها مناقشة عامة بالفصحى تضاعف من ثقة الطالب فى نفسه، وتدربه على الكلام السليم والنطق الصحيح.

أما الامتحان فيقتصر على النحو والإنشاء. ولا أنسى فى الختام الدور الذى يمكن أن تقوم به الإذاعة بنوعيها «المسموعة والمرئية» فى تقريب اللغة الصحيحة إلى الأسماع نطقاً وأداءً وإعراباً، وقد قدمت فى هذا المجال الكثير بإذاعتها القرآنية، وبرامجها الفصيحة، وبحرصها على تدريب وتثقيف المتحدثين باسمها، فضلاً عمّا تخص به الثقافة الرفيعة من برامج خاصة. ولعلى لا أجاوز القصد إذا اقترحت عليها برنامجاً يوميًّا من دقائق معدودة لعرض الأخطاء الشائعة فى الكتابة وتصحيحها نطقاً أو إعراباً أو إملاءً.

ترى هل قدمت بعض ما أود من خدمة للغتنا الجميلة؟ لعل الأفكار كثيرة، ولكن ينقصنا حقًّا التوثب للعمل والتنفيذ.

٥/٤/١٩٨٥.

ثروتنا الحقيقية

تصريحات السيد وزير التربية والتعليم تقنع المطلع عليها بصدقه وواقعيته وإدراكه لأبعاد مأساتنا التربوية التعليمية. وقد حمله اختياره لمنصبه أمانة ثقيلة، هي باختصار استثمار الثروة الحقيقية التي نملكها، وهي البشر، وبالتالي مستقبل الوطن وما يتطلع إليه من حياة كريمة في عصرنا الحديث. وقد ساءلت نفسي عما تطلب من وزارة التربية والتعليم، فكان الجواب كما يأتي:

* أن تستوعب مرحلتها الابتدائية جميع الأطفال من الجنسين، وأن تحتفظ بهم حتى النهاية، ويبدو أننا لا نملك وسيلة أخرى لمحو الأمية ولو بعد جيل.

* أن ترفع نسبة القبول للمرحلة الثانوية، بحيث تقتصر على المطلوبين فعلاً للجامعات، لنعيد إلى الحياة الجامعية ازدهارها، ونهيىء لها المناخ الصالح لتخريج أصحاب التخصصات الرفيعة.

* أن يوزع الباقون على المعاهد الفنية المتوسطة ومراكز التدريب ، كُلٌّ بحسب استعداده ، لإعداد الفنيين الصالحين للعمل فى الحياة الصناعية المعقدة المعاصرة .

أن تعمل على تغيير أسلوب التعليم القائم على الذاكرة ، مستهدفة خلق تفكير مستقل مفجر للقوى الإبداعية فى العقل والوجدان .

* أن تخص التربية الدينية والثقافية بعناية مركزة فى جميع مراحل التعليم .

* أن تزيد من الزمن المخصص للدراسة على مدى العام ، وتعمق البرامج للتأهيل الجيد لمواجهة تحديات العصر .

عند ذاك نحول الأعداد المتصاعدة من السكان إلى قيمة ذات شأن ، ويتوافر لنا من الكفاءات ما تحتاج إليه التنمية الشاملة ، أو ما يصلح للعمل فى أى مكان يكون فى حاجة إلى الخبرة ، هذه هى ثروتنا الحقيقية غير القابلة للنفاد مع الزمن ، بل وقابلة للزيادة أيضاً .

١٩٨٥/٤/١٨ .

النضية المزمنة

هل أتاك حديث التراث والمعاصرة؟ إنه حديثنا المفضل، أو حديثنا الوحيد، أو حديثنا المزمن، تتناقله الأجيال، جيلاً بعد جيل، دون توان أو ملل، كأنه فريضة من الفرائض، أو لازمة من لوازم عقلنا العربى، وكأنه نابع من أصل فلسفى كالمصير البشرى، ومعنى الحياة، ومعنى الكون، ولغز الحياة والموت، والخير والشر، يفرض نفسه على الإنسان فرضاً، ويدعوه إلى تأمله، برغم صعوبة السؤال واستحالة الجواب. وإذا كان للأسئلة الفلسفية ما يبررها لانبثاقها من صميم حياة الفرد والتحامها بحياته اليومية وحياته العامة ولأنه لا يستطيع أن ينساها مهما تناساها، فما المبرر لإدمان هذه المسألة الحضارية كأنما لا حل لها، وكأننا أول أمة في الأرض تواجهها؟. لماذا نعكف على ترديدها فى كورس واحد ممتد على مدى السنين منذ الجبرتى حتى مفكرى اليوم مروراً بمحمد عبده والكواكبى ولطفى السيد وطه حسين

وسلامة موسى ؟ كل جيل يتساءل : هل نقيم حياتنا على مثال سلفنا الصالح ؟ هل نندفع بكل قوانا للارتماء في أحضان الحضارة الغربية دون قيد ؟ هل ننتقي من القديم والحديث ما يقبل المزج والتلاحم ويصلح لإقامة بناء جديد ثابت الأركان ؟ كم من مقالات كتبت حول ذلك ، وكم من كتب وضعت ، وكم من مؤتمرات انعقدت في الشرق والغرب . يتراءى لي أحياناً ــ وأستغفر الله إنْ أكن مخطئاً ــ أن السر الكامن وراء ذلك هو أننا نشفق من التفكير الحقيقي ، أو نجفل منه لسبب أو لآخر ، ولا أقول إننا عاجزون عنه لا سمح الله ، فلذلك نغطي جمودنا بالحركة الوحيدة المتاحة ، وهي أن نفكر في التفكير نفسه أو حوله ، أن نفكر فيما ينبغي لنا إذا عزمنا يوماً أن نفكر أو نعمل ، فيتحقق لنا مظهر الفكر دون معاناة لأعبائه الحقيقية أو محاولة لحمل أمانته والتعرض لعواقبه ، لم نقدم على خلق فلسفة عربية حقاً على أي أساس من الأسس ، سلفية كانت أو معاصرة ، أو بين بين ، وهو عمل يستهلك عمراً كاملاً في عزلة عن الأنوار وفي صرح من التقشف ، وقد يسفر آخر الأمر عن كتاب واحد أو كتيب ، لم نحاول أن نبدع نظرية سياسية مستوحاة من تاريخنا وحاضرنا ومعتمدة على تجاربنا الحية في الحكم والإدارة ، ومستفيدة من تجارب الآخرين ، فهذا أيضاً يقتضي تفكيراً مستقلاً وتأملاً عميقاً ، وعمراً طويلاً ، وتضحية غالباً بالنجومية والمال . ولم نبتكر فكراً أصيلاً في الاقتصاد منبثقاً من حياتنا وتقاليدنا مستلهماً من الشرق أو الغرب ، أو الاثنين معاً ، أو متجاوزاً الثلاثة لشيء جديد لم يعرف من قبل . لو خرجنا من مقدمة

التفكير إلى التفكير نفسه ، لو ألقينا بأنفسنا في هذا البحر المجهول المحفوف بالمغامرة والإبداع لكانت لنا آراء وأفكار ونظريات ، ولأمكن أن نمتحنها على ضوء الواقع والتجربة عند التطبيق ، ولدخل الجمهور في التلاحم معها بحكم المعاملة ، ومثل عنصراً جديداً هامًّا في تقويمها والحكم عليها ، وبذلك نعرف الطريق الصحيح بقوة التفكير والعمل وتفاعل الجماهير ، وهو أقوى ألف مرة من الجدل المكرور العقيم الذى نبدأ فيه ونعيد كأنه ذكر من الأذكار ، أو حزب من الأوراد . لعل الأدب كان المجال الوحيد الذى تمت فيه المغامرة ، فانطلق الإبداع فى شتى أشكاله مصحوباً متبوعاً بالنقد والجدل ، فوجدت آثار شعرية تقليدية خالصة ومتطورة وحديثة ، ووجدت مسرحيات وقصص مقتبسة أو كالمقتبسة ، وأخرى عربية المضمون غربية الشكل ، واحتدمت نزعات نحو تأصيل الشكل أسوة بالمضمون ، ولكن تخلّق أدب وأدباء بلا شك ، وتكون جمهور فأدلى برأيه من خلال إقباله وإدباره . ولو اتبع هنا ما اتبع فى المجالات الأخرى لما كان لنا اليوم إلا مؤلفات حول التراث والمعاصرة دون شاهد واحد من الإبداع الفنى . ولكن لماذا الأدب وحده ؟ ربما لغلبة الاستعدادات والمواهب الأدبية على الاستعدادات والمواهب الفلسفية والفكرية الأخرى ، وربما لجاذبية الفن وثراء مردوده الأدبى والمادى ، وربما لأنه أخف عناء وتضحية ، وآمن عاقبة ، ولكن هيهات أن يتهيأ لنا طريق أو تستقيم حياة إلا بالفكر والتطبيق ، فمتى نسدل الستار على هذه القضية المزمنة ونشرع فى

الفكر الحقيقى والعمل الجاد؟ ألم نستهلك فيها زمناً كان كافياً لدفع أمة من وهدة التخلف إلى ذروة الأمم المتطورة؟.

١٩/٤/١٩٨٥.

الأدب والسياسة

للأدب مع السياسة قصة مثيرة فى عهد الثورة، ذات تعاريج وارتفاعات وانخفاضات، جرت مقاديرها بيد التخطيط تارة، وبيد المناخ والظروف والملابسات تارة أخرى، وتعددت الآراء فيها تبعاً للمواقف المختلفة، والأهواء المتضاربة، ولعله لم يكن من الممكن استخلاص فكرة موضوعية عنها قبل أن يخطو التاريخ خطوة حاسمة، وتصبح معالم طريقها الأساسية صالحة للمشاهدة عن بعد معقول، فى مطلع الثورة، وبعد أن تقرر مصيرها بيد الحكم المطلق، واختفى من أجهزة الإعلام أى صوت معارض، وقف الأدب يتلمس طريقه المحفوف بالمخاطر بحذر شديد. ومضى الأدب الحر يتحايل على التعبير من وراء أقنعة ورموز مؤثراً ذلك على الصمت أو النفاق. ولا أعتقد أن سره خفى عن أعين السلطة، ولا أنها عجزت عن البطش به لو أرادت، ولكن لعلها وجدت فى نقده المستتر محاسبة ذاتية لا رفضاً

لجوهر رسالتها أو خصومة جذرية لها ، أو لعلها وجدت أن الدائرة التى تدور فيها الثقافة ضيقة محصورة لا تشكل خطراً حقيقيًّا ، ولا وزن لها فى توجيه الرأى العام ، أو لعلها رأت لسبب ما أن تخفف من قبضتها عن الأدب فتدعه متنفساً ينفع ولا يضر ، بل وقد تستغله فى الدعاية ضد من يرمونها بالدكتاتورية ، وخاصة فى الخارج . وأيًّاما كان الأمر فقد تمتع الأدب بحرية نسبية لم يتمتع بها صوت آخر ، فدوى وسط الصمت الرهيب الشامل كانفجار مباغت لفت إليه أنظار المكبوتين الملهوفين على كلمة صدق ، أو إشارة نقد ، فهرعوا إليه من كل جانب ، وبذلك ضم إلى جمهور قرائه الإصليين جمًّا غفيراً من ضحايا السياسة والبطش ، أقبلوا ربما لأول مرة فى حياتهم على متابعة الروايات ومشاهدة المسرحيات بذهول وانفعال شديدين ، متهامسين بمغزاها ، متعزين بها عن صوت المعارضة المفقود والنضال الموءود . وبذلك الدور الإضافى الذى لعبه الأدب تضخم حجمه الطبيعى وترامت أبعاده ، واستفحل أثره فحقق نجاحاً جماهيرياً لم يكن ليتأتى له بعضه لو ترك وشأنه .

وجاء العهد الثانى للثورة فقام بإنجازين كبيرين كان لكل منهما أثره الفعال فى الأدب ، وإن لم يكن الأدب فى ذاته ضمن مخططاته . فأولاً قد قام بما عرف بثورة التصحيح ، ملتمساً سبيلاً جديداً فى رحاب الديمقراطية وسيادة القانون ، والإفراج عن الرأى الآخر ، ولأول مرة منذ زمن طويل تردد الصوت المعارض عالياً صريحاً فى الصحف والمجلات ، ومزق الستار عن خبايا العهد السابق وفظائع معتقلاته

وسجونه ، وخسر الأدب نتيجة لذلك وظيفته الإضافية ونجاحه المرحلى ، ولم يعد للرمز السياسى معنى ، ولا كان فى استطاعة الأدب أن ينافس المعارضة الصريحة فى معارضتها اليومية ، فتراجع درجات ليحتل منزلته الطبيعية بين المثقفين ، ولكن تراجعه الطبيعى لم يَبْدُ وقتها تراجعاً طبيعيًّا ، وخيل للكثيرين أن ثمة نكسة أصابته ، فأوهت أركانه وحدت من نشاطه .

وثانياً فإن العهد الجديد اعتنق سياسة جديدة نحو اليسار فى الخارج والداخل ، وأعلن بلا تردد ألاّ مكان ليسارى فى أى جهاز من أجهزة الإعلام . ولما كان اليساريون يشكلون جمهرة لا يستهان بها فى عالم الأدب فإن مصادرتهم قد أضافت مزيداً من الضعف إلى النشاط الأدبى الذى لم يكن قد أفاق بعد من هبوطه إلى حجمه الطبيعى فازداد الحال تردياً وتدهوراً ، حتى أساء البعض الظن بالسلطة واتهمها بتعمد القضاء على الثقافة والمثقفين . والحق أنه لم يوجد تعمد ولا سوء قصد ، ولكنها السياسة ، أحسنت إلى الأدب مرة بدون قصد ، وأساءت إليه مرة بدون قصد كذلك . ثم أدركه عصر التليفزيون والفيديو والتعليم السيىء ، فبلغ السيل الزبى كما يقال ، فسقط فى هاوية اللامبالاة برغم استمرارية أجياله المتعاقبة فى العطاء ، وتفتح شبابه عن مواهب جديدة امتازت بالجودة والكثرة معاً .

واليوم تقف السياسة من الأدب موقفاً حيادياً مقروناً بالتشجيع ، فهى تترك جميع المواهب لتتفتح ولا تضن عليها بالجوائز والتقدير

والتكريم ، وترحب بها وبإنتاجها فى أجهزة إعلامها المختلفة . أجل لم تخل الساحة من عقبات عنيدة مثل مشكلة الكتاب والأزمة الاقتصادية ، وسوء التربية ، وتدريس اللغة العربية فى مدارسنا ، بالإضافة إلى موجة عنيفة من الرجعية تجتاح مجتمعنا مهددة كل نشاط فكرى حر. وأخيراً وليس آخراً يربض التليفزيون كمنافس ساحر وخطير للقراءة بصفة عامة ، وللقراءة الأدبية بصفة خاصة . فعلى الأدب أن يقتحم جميع هذه العقبات ليستعيد حجمه الطبيعى ، أو على الأقل ليحافظ على الحجم المقسوم له فى الحضارة الحديثة .

١٩٨٥/٦/٢٨ .

ضرورة الثقافة

سُرِرْتُ وَسُرَّمعى ـ ولاشك ـ جميع المثقفين لما حظى به الكتاب فى الآونة الأخيرة من عناية كريمة مركزة، وهى عناية يحمل فضلها اتحاد الكتاب، ونادى جريدة الأهرام للكتاب من ناحية، واستجابة الدولة ووزير الثقافة من ناحية أخرى، فتحت قنوات العبور للكتاب ما بين الداخل والخارج، وأصبح له ناد فى الأهرام ييسره لقارئه فى جميع فروع المعرفة، ولاح من جديد فى الأفق مشروع لألف كتاب جديد، وجملة من المجلات الثقافية للأطفال والشباب والناضجين. ويزامن ذلك فترة نحن أشد ما نكون فيها حاجة إلى الثقافة، برغم أن ظاهرها يوحى بنقيض ذلك، يوحى الظاهر بأن ما ينبغى تقديمه على غيره هو حشد الجهود لخوض معركة التنمية، والتغلب على مصاعبنا الاقتصادية. ولكن ذلك نفسه هو ما يدعو للاهتمام بالثقافة لا باعتبارها أساساً فى بناء شخصية الإنسان فحسب، ولكن أيضاً لتوفير الاتزان

الضرورى للفرد الذى أخلت به الأزمة، وانحرفت به عن مساره التقليدى. لا وقت اليوم لغير تحصيل الرزق وتأمين المعيشة، وتحدى المخاوف التى ينذر بها الغد، إنها معركة فقدنا فى غمارها الكثير من الرحمة والقيم والعواطف الإنسانية، وتذوق الجمال والفضائل، والانبهار بالتأمل والفكر، وكأنما أصبحنا نعيش لنأكل لا نأكل لنعيش، ونمد أبعاد حياتنا طولاً وعرضاً وعمقاً وارتفاعاً. وغير جائز أن نصبر على هذا الهوان حتى نقهر مصاعبنا ونسيطر على مصيرنا. نحن في أشد الحاجة العاجلة إلى ما يحمى جانبنا الإنسانى من عوامل الركود والفساد وفي أشد الحاجة إلى ما يوقظ حواس الخير والجمال والفكر، وبمعنى آخر نحن فى أشد الحاجة إلى الثقافة فى هذه الفترة غير الثقافية دفاعاً عن ذاتنا الإنسانية المهددة بالضياع. وعلى مؤسساتنا الثقافية وأجهزتنا الإعلامية أن تؤمن بذلك، وأن تعمل له بكل ما تملك من قوة وخبرة وإخلاص.

.١٩٨٥/٨/٢٩

نحو مواطن جديد

نحن قوم نعانى من الكثرة والتكاثر، وما يعقبها حتماً من الفقر والجدب، ولكن بالتعليم الرشيد والثقافة تتحول الكثرة إلى قيمة إنسانية رفيعة، إذا ضاقت عنها أوطانها فقد تجد متسعاً فى أى مكان فى الأرض. واليوم يصبح التعليم والثقافة من همومنا الملحة التى لا تغيب عن أذهان المسئولين، واحتلتا مكانها المشروع فى التوصيات الأساسية التى مهد بها كدستور لقيام الوزارة الأخيرة. ومن الحق أن نقول إنهما كانا دائماً ضمن التنمية الشاملة، وإنه اعترف بهما كحق من حقوق المواطن وتمت فى ميدانهما إنجازات كبيرة، ولكن التعليم بصفة خاصة تعرض لسلبيات فادحة شملت المدرسة والمدرس والتلميذ جميعاً، وخرجت أجيال دون المستوى فى العلم والثقافة والتربية. حسن أن نعى أخيراً المأساة بكل أبعادها، وأن نركز على الأهداف فى صميمها، ونعرف للعقل قيمته، وللعلم أثره، وللثقافة والتربية

ثمراتها، وهو ما يعنى فى النهاية أداء الواجب الكامل نحو الأبناء والوطن والحضارة. علينا منذ الساعة أن نسرع بإعداد المدارس الكافية لاستيعاب جميع الناشئة، وهو أقصر الطرق للقضاء على الأمية، ولتخريج المواطن الصالح لتحديات الحياة العصرية، وعلينا أن نحول مناهج الدراسة من الاستظهار إلى الابتكار لنتهيأ للمشاركة الحقيقية فى عصر العلم والابداع، وعلينا أن نهتم بشحن الأجيال بالمبادىء السامية والانتماء القويم والذوق الرفيع معتمدين على التربية الدينية والقومية والفنية، ولن تضيق الحياة ببشر إذا حازوا هذه الصفات النبيلة.

.١٩٨٥/١٠/٣١

بين عصرين

كُتب علينا أن نعيش فى زمن واحد عصرين متناقضين لدرجة تفوق أى خيال، عصر الحضارة الحديثة، نعايش بعض منجزاته فى بلادنا، ونعرف بقية أبعاده من الإذاعة المسموعة والمرئية، والسينما، والكتاب، والمجلة، والصحيفة اليومية فنقف على أقصى ما بلغه الإنسان من تقدم ورقى فى العلم وتطبيقاته، سواء على سطح الأرض أو فى الفضاء، ونشهد ما يشبه الخوارق فى الطب والهندسة والعلوم الإنسانية وأنظمة الحكم وحقوق الإنسان، وحتى من غير أن يخفى علينا ما يعتور هذه الحضارة من سلبيات هى الضريبة المقررة على كل جديد فى الاكتشاف أو التقدم.

وعصراً آخر هو واقعنا، وما تعانيه بلادنا فى هذه الفترة من حياتها وهى تضمد جراحها، وتلم شعثها، وتجدد ذاتها، نعرفه من خلال المعايشة اليومية وأجهزة الإعلام، فنرى شعباً أنهكته الحروب،

وأضَّربه الفقر، كما أضربَّه الغنى ، وتخلخل انتماؤه ، وفسدت أخلاقه ، واجتاحته الفوضى والتلوث ، وتحطمت طرقه ، وتفجرت مجاريه وتراكمت ديونه .

نرى هذا ونرى ذاك ، نقارن ونتأمل ، ونتذكر ونحلم ، وتبقى حقيقة لا مفر منها ولا مهرب ، وهى أنه علينا أن نصلح كل فاسد ، ونقوم كل معوج ، ونسدد كل قرض ، ونمحق كل عقبة ، لا لمجرد أن يستقيم لنا المقام وتستقر بنا الأرض ، ولكن لنواصل السير بعد ذلك لنلحق بعالم الفضاء ، ونشارك فيه بالفكر والعمل والعطاء .

إنها مهمة تنوء بها الجبال ، وفى الحق أنها تحتاج فى إنجازها إلى معجزة ، ولكن من حسن الحظ أن المعجزة موجودة اسمها الإنسان ، الإنسان بعقله وإرادته وإيمانه وتصميمه .

بذلك يتحول الحلم إلى حقيقة ، والمستحيل إلى ممكن .

٢١/١١/١٩٨٥ .

الكاتب .. المفكر .. المجاهد

لقد كانت وفاة كاتبنا الكبير عبد الرحمن الشرقاوى مفاجأة سيئة هزتنى من الأعماق فى هذا العام الحافل بالأحزان والذى بكينا فى أواسطه توفيق الحكيم ، ومن أيام كمال الملاخ .

والحقيقة أن صداقتى مع الشرقاوى نشأت فى ندوة الأوبرا فى أوائل الأربعينيات ، وقبل أن يبدأ حياته الأدبية ، وكان من حظى أن أتابع مولده ونموه وازدهاره حتى بلوغه العبقرية المشرفة .

عرفته أول ما عرفته رائداً من رواد الشعر الحديث حينما خرج علينا بقصيدته الرائعة «من أب مصرى إلى الرئيس ترومان» ثم أدهشنا بروايته العظيمة «الأرض» التى جعلت منه الرائد للأدب الاشتراكى فى الأدب العربى المعاصر، وتتابع نشاطه الفكرى فاتجه للمسرح ، وصار من عمده فى المسرحية الشعرية ، وأذكر هنا «الفتى مهران»

وما أحدثته وقت عرضها من ضجة هزت أركان الحكومة والشعب، ومن قبلها «مأساة جميلة» التى كانت أول مسرحية عربية بالشعر العربى الحديث، وأكبر مساهمة أدبية عربية فى كفاح الشعب الجزائرى من أجل الحرية والاستقلال. وتتابعت دراماته الشعرية بغزارة من «وطنى عكا» عن القضية الفلسطينية إلى «زعيم الفلاحين» عن أحمد عرابى وثورته.

واهتم المرحوم الشرقاوى أيضاً بالتراجم الإسلامية بادئاً بالرسول عليه الصلاة والسلام، ومنتهياً بأبى بكر الصديق، مروراً بعلى إمام المتقين، والفاروق عمر بن الخطاب، وأئمة الفقه الإسلامى، فقدمها فى إطار عصرى فريد، من خلال رؤية عصرية حديثة مضيئة.

ولم يكن الشرقاوى مجرد مفكر، ولا مجرد كاتب، ولكن حياته الثرية امتدت إلى ميدان الكفاح والجهاد، فكان من قادة النهضة الإنسانية المستنيرة، وظل بقوته الفريدة قابضاً على زمام الفكر والعمل حتى اللحظات الأخيرة من حياته، فالأيام الأخيرة شهدت رحلته إلى الاتحاد السوفيتى للعمل فى إطار عمله كسكرتير لمنظمة التضامن الآسيوى الإفريقى، وشاء القدر أن يُصاب وهو يعمل بالالتهاب الذى أودى بحياته.

فعاش مفكراً مناضلاً، ومات شهيداً.

أما عبد الرحمٰن الشرقاوى الصديق فقد وهبنا من ذاته وفاء ومودة وصفاء تجعل الحياة بعده حسرة وحزناً مستديماً، رحمه الله رحمة واسعة.

١٩٨٧/١١/١١.

حياته

نجيب محفوظ عبدالعزيز إبراهيم أحمد الباشا.. هذا هو اسمه بالكامل.. أما اسمه الأول فهو نجيب محفوظ على اسم طبيب الولادة الشهير فى ذلك الوقت..

ولد فى الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩١١ بحى الجمالية لأب موظف ثم تاجر.. وهو أخ لأربع أخوات وأخوين، ولدوا وماتوا بالترتيب جميعاً..

التحق بالكتّاب، ثم بالمدرسة الابتدائية، ثم بمدرسة فؤاد الأول الثانوية، ثم بكلية الآداب، قسم الفلسفة، جامعة القاهرة التى تخرج فيها عام ١٩٣٤..

بعد أن سجل رسالة الماجستير تحت إشراف الشيخ مصطفى عبدالرازق بعنوان «مفهوم الجمال فى الفلسفة الإسلامية» اتجه إلى الأدب تماماً وانفصل عن الدراسات الأكاديمية..

تزوج عام ١٩٥٤ وأنجب ابنتين..

ولقد تدرج فى الوظائف: فعين كاتباً عام ١٩٣٤ بإدارة الجامعة حتى عام ١٩٣٨ حين عمل سكرتيراً للشيخ مصطفى عبد الرازق وزير الأوقاف حتى سنة ١٩٤٥ فنقل إلى مكتبة الغورى، ثم مديراً لمؤسسة القرض الحسن، بعدها عمل مديراً لمكتب فتحى رضوان وزير الإرشاد، فمديراً للرقابة على المصنفات الفنية، فمديراً عامًّا لمؤسسة دعم السينما، فمستشاراً للمؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتليفزيون، فرئيساً لمجلس الادارة، فمستشاراً لوزير الثقافة حتى أحيل إلى المعاش فى نوفمبر ١٩٧١ بعدها، وفى ديسمبر انضم إلى أسرة كتّاب جريدة الأهرام، وحتى الآن..

وقد حصل على العديد من الجوائز والأوسمة قبل فوزه بجائزة نوبل، ففاز بجائزة قوت القلوب الدمرداشية عن رواية «رادوبيس» عام ١٩٤٣، وفاز بجائزة وزارة المعارف عن رواية «كفاح طيبة» عام ١٩٤٤، وفاز بجائزة مجمع اللغة العربية عن رواية «خان الخليلى» عام ١٩٤٦، وفاز بجائزة الدولة التشجيعية فى الأدب عن رواية «قصر الشوق» عام ١٩٥٧، وحصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٦٢، وفاز بجائزة الدولة التقديرية فى الأدب عام ١٩٧٠، وحصل على جائزة رابطة التضامن الفرنسية العربية عن «الثلاثية» ومنح الدكتوراه الفخرية من جامعة المنيا عام ١٩٨٤ وحصل على قلادة النيل عام ١٩٨٨ ومنح الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة عام ١٩٨٩..

وقد كان للمقاهى ولا يزال دور هام فى حياته وأعماله ، فهى تمثل بالنسبة له النادى الاجتماعى والصالون الأدبى ، فهو لم ينضم إلى نادٍ ، ولم يرتد أو ينشئ صالوناً ، وهى تمثل كذلك المسرح والسينما ، خاصة بعد أن انقطع عن ارتيادهما نتيجة لضعف بصره وسمعه جميعاً ، وهى تمثل أخيراً الرحلة اليومية والموسمية معاً خاصة أنه لا يميل بطبعه للسفر، باستثناء سفره الصيفى إلى الإسكندرية .. ومن أهم هذه المقاهى والتى اشتهرت بتردده عليها : مقهى عرابى بالعباسية ، مقهى الفيشاوى بالحسين ، كازينو الأوبرا ، مقهى لونابارك وكازينو بترو وفندق سان استيفانو بالإسكندرية ، كازينو قصر النيل ، مقهى ريش ،وأخيراً مقهى على بابا بميدان التحرير بالقاهرة .

وأعمـــاله

(أ) الروايـــة :

١ ـ	عبث الأقدار	١٩٣٩
٢ ـ	رادوبيس	١٩٤٣
٣ ـ	كفاح طيبة	١٩٤٤
٤ ـ	القاهرة الجديدة	١٩٤٥
٥ ـ	خان الخليلى	١٩٤٦
٦ ـ	زقاق المدق	١٩٤٧
٧ ـ	السراب	١٩٤٨

٨- بداية ونهاية	١٩٤٩
٩- بين القصرين	١٩٥٦
١٠- قصر الشوق	١٩٥٧
١١- السكرية	١٩٥٧
١٢- أولاد حارتنا	١٩٦٠
١٣- اللص والكلاب	١٩٦١
١٤- السمان والخريف	١٩٦٢
١٥- الطريق	١٩٦٤
١٦- الشحاذ	١٩٦٥
١٧- ثرثرة فوق النيل	١٩٦٦
١٨- ميرامار	١٩٦٧
١٩- المرايا	١٩٧٢
٢٠- الحب تحت المطر	١٩٧٣
٢١- الكرنك	١٩٧٤
٢٢- حكايات حارتنا	١٩٧٥
٢٣- قلب الليل	١٩٧٥
٢٤- حضرة المحترم	١٩٧٥
٢٥- ملحمة الحرافيش	١٩٧٧
٢٦- عصر الحب	١٩٨٠
٢٧- أفراح القبة	١٩٨١
٢٨- ليالى ألف ليلة	١٩٨٢

٢٩- الباقى من الزمن ساعة ١٩٨٢

٣٠- رحلة ابن فطوطة ١٩٨٣

٣١- العائش فى الحقيقة ١٩٨٥

٣٢- يوم قتل الزعيم ١٩٨٥

٣٣- حديث الصباح والمساء ١٩٨٧

٣٤- قشتمر ١٩٨٨

(ب) القصص القصيرة:

٣٥- همس الجنون ١٩٣٨

٣٦- دنيا الله ١٩٦٣

٣٧- بيت سيئ السمعة ١٩٦٥

٣٨- خمارة القط الأسود ١٩٦٩

٣٩- تحت المظلة ١٩٦٩

٤٠- حكاية بلا بداية ولا نهاية ١٩٧١

٤١- شهر العسل ١٩٧١

٤٢- الجريمة ١٩٧٣

٤٣- الحب فوق هضبة الهرم ١٩٧٩

٤٤- الشيطان يعظ ١٩٧٩

٤٥- رأيت فيما يرى النائم ١٩٨٢

٤٦- التنظيم السرى ١٩٨٤

٤٧- صباح الورد ١٩٨٧

٤٨ـ الفجر الكاذب 		١٩٨٩

(جـ) الترجمات والحوارات:

٤٩ـمصرالقديمة 		١٩٣٢

٥٠ـ أمام العرش 		١٩٨٣

(د) كتب للأطفال:

٥١ـ عجائب الأقدار.

(هـ) المقالات:

٥٢ـ حول الدين والديمقراطية

٥٣ـ حول الشباب والحرية

٥٤ـ حول الثقافة والتعليم

*** وتنوى الدار المصرية اللبنانية ــبإذن اللهــ مواصلة نشر مقالاته التى كان قد بدأها عام ١٩٣٤ ونشرت فى المجلات والصحف المختلفة داخل وخارج مصر.**

(و) المسرحيات:

سبع مسرحيات من ذات الفصل الواحد، خمس منها فى مجموعة «تحت المظلة» وهى:

١ــ يميت ويُحْيى.

٢ــ التركــة.

٣ ـ النجاة .

٤ ـ مشروع للمناقشة .

٥ ـ المهمة .

ومسرحيتان فى مجموعة « الشيطان يعظ » هما :

٦ ـ الجبل . ٧ ـ الشيطان يعظ .

* أعد مصطفى بهجت مصطفى المسرحيات الثلاث الأولى وحولها إلى العامية ، وأخرجها أحمد عبدالحليم على مسرح الجيب عام ١٩٦٩ بعنوان « تحت المظلة » . .

(ز) الروايات والقصص التى أعدت للمسرح :

١ ـ زقاق المدق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٥٨ .
زقاق المدق : إعداد بهجت قمر ، إخراج كمال يس ١٩٨٤ .

٢ ـ بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبدالرحيم الزرقانى ١٩٦٠ .
بداية ونهاية : إعداد أحمد عبدالمعطى ، إخراج فتحى الحكيم ١٩٧٦ .
بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبدالغفار عودة ١٩٨٦ .

٣ ـ بين القصرين : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج صلاح منصور ١٩٦٠ .

٤ ـ قصر الشوق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٦١ .

٥ ــ اللص والكلاب : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج حمدى غيث ١٩٦٢ .

٦ ــ الجوع : إعداد فايز حلاوة وإخراجه (قهوة التوتة) ١٩٦٢ .

٧ ــ خان الخليلى : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٣ .

٨ ــ روض الفرج : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٤ .

٩ ــ ميرامار : إعداد نجيب سرور ، وإخراجه ١٩٦٩ .

١٠ - القاهرة ٨٠ : إعداد سمير العصفورى ، وإخراجه ١٩٨٩ .

١١ - حارة العشاق إعداد أحمد عبد المعطى وإخراج أحمد هانى ١٩٨٩ .

(ح) السيناريوهات :

١ ــ المنتقم : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٧ .

٢ ــ عنتر وعبلة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٨ .

٣ ــ لك يوم يا ظالم : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إميل زولا «تريز راكان» ١٩٥١ .

٤ ــ ريا وسكينة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٣ .

٥ ــ الوحش : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٤ .

٦ ــ جعلونى مجرماً : إخراج عاطف سالم ١٩٥٤ .

٧ ــ فتوات الحسينية : إخراج نيازى مصطفى ١٩٥٤ .

٨ ــ شباب امرأة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة أمين يوسف غراب ١٩٥٥ .

٩- درب المهابيل : إخراج توفيق صالح ١٩٥٥ .
١٠- النمرود : إخراج عاطف سالم ١٩٥٦ .
١١- الفتوة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٧ .
١٢- الطريق المسدود : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبدالقدوس ١٩٥٨ .
١٣- الهاربة : إخراج حسن رمزى ١٩٥٨ .
١٤- أنا حرة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبدالقدوس ١٩٥٩ .
١٥- إحنا التلامذة : إخراج عاطف سالم ١٩٥٩ .
١٦- بين السماء والأرض : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٩ .
١٧- جميلة : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٥٩ .
١٨- الناصر صلاح الدين : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٦٣ .
١٩- ثمن الحرية : إخراج نور الدمرداش ١٩٦٥ .
٢٠- الاختيار: إخراج يوسف شاهين ١٩٧١ .
٢١- دلال المصرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧١ .
٢٢- ذات الوجهين : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .
٢٣- المذنبون : إخراج سعيد مرزوق ١٩٧٦ .
٢٤- المجرم : إخراج صلاح أبو سيف (لك يوم يا ظالم) ١٩٧٨ .
٢٥- وكالة البلح : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٣ .

(ط) الروايات والقصص التى أعدت للسينما :

١ ـ بداية ونهاية : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٠ .
٢ ـ زقاق المدق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٣ .
٣ ـ اللص والكلاب : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٣ .
٤ ـ بين القصرين : إخراج حسن الإمام ١٩٦٤ .
٥ ـ الطريق : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٤ .
٦ ـ خان الخليلى : إخراج عاطف سالم ١٩٦٦ .
٧ ـ القاهرة ٣٠ : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٦ .
٨ ـ قصر الشوق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٧ .
٩ ـ السمان والخريف : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٨ .
١٠ـ ميرامار: إخراج كمال الشيخ ١٩٦٩ .
١١ـ السراب : إخراج أنور الشناوى ١٩٧٠ .
١٢ـ ثرثرة فوق النيل : إخراج حسين كمال ١٩٧١ .
١٣ـ صور ممنوعة : إخراج مدكور ثابت ، من خمارة القط الأسود ١٩٧٢ .
١٤ـ السكرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧٣ .
١٥ـ الشحات : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .
١٦ـ أميرة حبى أنا : إخراج حسن الإمام ، من المرايا ١٩٧٤ .
١٧ـ الكرنك : إخراج على بدرخان ١٩٧٥ .
١٨ـ الحب تحت المطر: إخراج حسين كمال ١٩٧٥ .
١٩ـ الشريدة : إخراج أشرف فهمى ، من همس الجنون ١٩٨٠ .
٢٠ـ فتوات بولاق : إخراج يحيى العلمى ، من حكايات حارتنا ١٩٨١ .

٢١ـ أهل القمة : إخراج على بدرخان ، من الحب فوق هضبة الهرم ١٩٨١ .
٢٢ـ الشيطان يعظ : إخراج أشرف فهمى ١٩٨١ .
٢٣ـ أيوب : إخراج هانى لاشين ، من الشيطان يعظ ١٩٨٤ .
٢٤ـ الخادمة : إخراج أشرف فهمى ، من خمارة القط الأسود ١٩٨٤ .
٢٥ـ دنيا الله : إخراج حسن الإمام ١٩٨٥ .
٢٦ـ شهد الملكة:إخراج حسام الدين مصطفى من ملحمة الحرافيش ١٩٨٥ .
٢٧ـ المطارد : إخراج سمير سيف ، من ملحمة الحرافيش ١٩٨٥ .
٢٨ـ التوت والنبوت : إخراج نيازى مصطفى ، من ملحمة الحرافيش ١٩٨٥ .
٢٩ـ الحب فوق هضبة الهرم : إخراج عاطف الطيب ١٩٨٦ .
٣٠ـ الحرافيش : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٦ .
٣١ـ الجوع : إخراج على بدرخان ، من ملحمة الحرافيش ١٩٨٦ .
٣٢ـ عصر الحب : إخراج حسن الإمام ١٩٨٦ .
٣٣ـ وصمة عار: إخراج أشرف فهمى (الطريق) ١٩٨٦ .
٣٤ـ أصدقاء الشيطان : إخراج أحمد ياسين ، من ملحمة الحرافيش ١٩٨٨ .

(ى) الكتب المترجمة إلى اللغات المختلفة :

١ ـــ زقاق المدق : الإنجليزية،الفرنسية،الألمانية،الصينية،السويدية
٢ ـــ بداية ونهاية : الإنجليزية،الصينية

٣ـ بين القصرين الإنجليزية ، الفرنسية ، الألمانية ، الصينية ، السويدية
٤ ـ قصر الشوق : الإنجليزية ، الفرنسية ، الألمانية ، الصينية
٥ ـ السكرية : الإنجليزية ، الصينية
٦ـ اللص والكلاب : الإنجليزية ، الفرنسية ، الصينية
٧ـ الشحاذ : الإنجليزية ، الصينية
٨ـ الكرنك : الصينية
٩ـ ثرثرة فوق النيل : الإنجليزية ، الألمانية
١٠ـ يوم قتل الزعيم : الانجليزية ، السويدية
١١ـ أفراح القبة : الإنجليزية
١٢ـ أولاد حارتنا : الانجليزية ، الألمانية
١٣ـ المرايا : الإنجليزية
١٤ـ دنيا الله : الإنجليزية
١٥ـ الطريق : الإنجليزية
١٦ـ حضرة المحترم : الإنجليزية
١٧ـ ميرامار: الإنجليزية
١٨ـ السمان والخريف : الإنجليزية
١٩ـ رادوبيس : الصينية
٢٠ـ الحرافيش : الصينية

* وهى كتب صدرت قبل إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، وقد تم التعاقد بعد ذلك عن طريق إدارة النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة على ترجمة العديد من الكتب إلى معظم لغات العالم وهى فى سبيلها إلى النشر.

محتويات الكتاب

رقم الإيداع : ٨٩/٥٣٨٧ .

الترقيم الدولى : ١ ــ ٠٣ ــ ١٨٣٠ ــ ٩٧٧ .

عربية للطباعة والنشر
١٥ ش نابلس ـ ميدان موسى جلال ـ المهندسين
من ش شهاب ـ أمام مسجد طارق بن زياد
ت : ٣٤٦٥٣٧٦